رواية
رحلة إلى عالم آخر
فانتازيا عالم الظل وأسراره
د. عرفات الأشعري السامعي

عنوان الكتاب: رحلة إلى عالم آخر

المؤلف: د. عرفات الاشعري السامعي

التدقيق اللغوي: الأستاذة إيمان الشرعي

للتواصل مع الكاتب:

- تلجرام:

https://t.me/Alashary2002

- واتساب:

735130042

- فيسبوك:

https://www.facebook.com/arafatalashary.alashary

- البريد الإلكتروني:

alasharyarafat@gmail.com

مساهمة ودعم: مكتبة النورس

يُسمح بنشر أجزاء من هذا الكتاب إلكترونيًا فقط، بشرط الإشارة إلى المصدر وتضمين الهاشتاقات التالية:

#رحلة_إلى_عالم_آخر

#عرفات_السامعي

ولا يجوز نسخ أو اقتباس أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، سواء كان ذلك بشكل مادي أو معنوي، إلا بعد الحصول على موافقة خطية من المؤلف، وذلك حفاظًا على حقوق الملكية الفكرية

الإخراج الفني

تم تنفيذ هذا العمل بعناية واحترافية من قِبل

Angle 21 للإنتاج الإعلاني

نحن نؤمن بأن التصميم ليس مجرد شكل،

بل رسالة تُحكى بصريًا وتُخلّد في الذاكرة.

خدماتنا تشمل:

للتواصل والاستفسار:

738793934

تابعونا على:

فيسبوك

https://www.facebook.com/profile.php?id=61585992876405

للاطلاع على أحدث أعمالنا ومشاريعنا القادمة

رحلة إلى عالم آخر

رواية

تأليف

د. عرفات الاشعري السامعي

هذه الرواية إهداء

إلى كل كلمة طيبة كانت وقودًا...

وإلى كل نصيحة صادقة كانت بوصلة...

أهدي هذا العمل...

إلى كل روحٍ تحمل في طياتها شغفًا عظيمًا، وتنتظر اللحظة المناسبة لتبدأ رحلتها.

لا توجد لحظة مناسبة ...

هناك فقط "الآن."

ففي قلب كل منا ... رحلة إلى عالم آخر

نبذة عن المؤلف

د. عرفات الاشعري السامعي

كاتب وطالب طب في سنته الرابعة بجامعة البيضاء.

يقضي أيامه في دراسة تعقيدات الجسد البشري، ولياليه في استكشاف أغوار الروح وعوالم الخيال. يؤمن بأن هناك حقائق أعمق تختبئ خلف ستار الواقع، وأن القلم هو الأداة الوحيدة القادرة على كشفها. روايته الأولى، "رحلة إلى عالم آخر"، هي مجرد بداية لمحاولة رسم خرائط لتلك العوالم الخفية.

*****

«من اختطفها هم من عالمٍ آخر.»

نادر

«إن قررت أن تكمل معي الطريق، فاعلم أنك لن تكون نفس الشخص بعدها.»

نادر

"إن مت اليوم، فهذا لا يعني أن الظلم سيخلد! مهما طال ليل الظلم، فإن فجر العدل سيشرق حتماً! ستسقط إمبراطوريتك، وسيعود النور إلى هذا العالم! لن تكسر أرواحنا، ولن تطفئ شعلة الأمل في قلوبنا!"

كياتسو

«في عالمي، عندما يتحد البشر، لا توجد قوة تستطيع إيقافهم. إن قوة الإيمان والوحدة هي السلاح الأقوى ضد أي ظلم.»

«انهضوا أيها الحكماء! انهضوا أيها الأبطال! فالمعركة ليست معركة الظليين فقط، بل هي معركة النور ضد الظلام، معركة الخير ضد الشر!»

نادر

نبذة عن الرواية

في قرية هادئة، تنقلب حياة طالب الطب فاضل رأساً على عقب بلقاء غامض.

زميله نادر يظهر متنكراً، ثم يختفي في ومضة غبار عند سفح جبل، تاركاً وراءه وعداً ثقيلاً ومفتاحاً لعالم موازٍ.

ما بدأ كبحث عن تفسير يتحول إلى رحلة وجودية. يكتشف فاضل أن عالمه ليس سوى قشرة تخفي صراعاً أزلياً في "عالم الظل"، حيث تتجسد الكائنات وتتراقص الظلال على إيقاع حرب باردة.

المهمة؟ إنقاذ فتاة بريئة، سيرين، التي يحمل دمها النقي مفتاحاً لـ "البوابة الكبرى".

يسعى الطاغية ناركيل وأتباعه الظليون لاستغلالها لفتح البوابة وتدمير التوازن بين العالمين، بينما يعتمد الأمل الوحيد على المخطوطات الحية التي تركها حكماء الماضي.

هل يستطيع الأبطال، الذين لم يمسكوا في حياتهم سوى مشرط الجراحة، أن يواجهوا كائنات الظل المتوحشة، ويتصدون لناركيل؟

"رحلة إلى عالم آخر" ليست مجرد مغامرة، بل اختبار لقوة الروح البشرية في مواجهة الظلام المطلق.

استعد لرحلة تتجاوز حدود الخيال، حيث يصبح الإيمان سلاحاً، والبلورة دليلاً، والمصير

الفصل الأول

كان فاضل، شابٌ في الثالثة والعشرين من عمره، يدرس الطب البشري في إحدى الجامعات اليمنية. وبعد أن أتمَّ عامه الثالث، عاد إلى قريته الصغيرة لقضاء إجازة قصيرة يستريح فيها من عناء الدراسة.

في صباحٍ هادئ، استيقظ مبكرًا كعادته، توضأ وأدّى صلاة الفجر بخشوع، ثم فتح المصحف الشريف وتلا آياتٍ من كتاب الله. ما إن فرغ من قراءته حتى خرج يتجول بين أزقة قريته، يتأمل جمالها ويسترجع ذكريات طفولته فيها.

وبينما كان غارقًا في حنينه وذكرياته، لفت انتباهه شيء غريب قطع عليه شروده. رأى من بعيد امرأة طويلة القامة، تمشي مسرعة في منطقة نائية قليلًا عن التجمعات السكنية، وكأنها تتجنب أعين الناس. كانت ترتدي عباءة سوداء تغطي جسدها بالكامل، ونقابًا أسود لا يُظهر سوى عينيها، وعليها علامات التوتر والخوف.

زمّ فاضل شفتيه بدهشة، وقال في نفسه:

. ما الذي أخرجها في هذا الوقت المبكر؟ ومن تكون؟

اقترب منها بحذر ليتحقق من أمرها، وما إن اقترب أكثر حتى اتسعت عيناه من شدة المفاجأة! لم تكن امرأة، بل كان "نادر"، أحد زملائه في الجامعة!

زادت دهشة فاضل، ليس فقط بسبب تنكر نادر في زيّ امرأة، بل لأن نادر من محافظة بعيدة، وكان من المفترض أنه لا يزال في المدينة بعد انتهاء آخر اختبار يوم أمس فقط!

اقترب أكثر وقال بدهشة:

. نادر؟! ما الذي تفعله في قريتنا؟! وكيف وصلت؟ وما هذا الذي ترتديه؟!

ابتسم نادر بارتياح عندما سمع فاضل يقول: "هذه قريتي"، وكأن ذلك أراحه. ثم قال:

. قصتي طويلة يا فاضل، ولا يمكنني شرحها هنا، لكنني بحاجة إلى مساعدتك.

نظر إليه فاضل بريبة وقال:

. مساعدتي؟ في ماذا؟ ولماذا؟ ومتى جئت؟ ولماذا هذا التنكر؟

كانت الأسئلة تتزاحم في رأسه بلا إجابة، حتى أنه بدأ يشك أن ما يراه حقيقي، فأخذ يتفحّص نادر بعينيه، ناظرًا إلى قدميه، يتأكد أهو نادر حقًا أم أن ما يراه شيء آخر لا يُفسَّر؟!

قال نادر بنبرة جادة:

. أعلم أنك مستغرب، لكنني جاد... أنا بحاجة إلى مساعدتك.

ثم أضاف وهو ينظر حوله:

. تقدمني وسأتبعك، لا نريد أن يرانا أحد فيسيء الظن، وسأشرح لك كل شيء.

سار الاثنان في صمت، حتى قال نادر بعد لحظات:

. لقد كُلِّفت بمهمة إنقاذ فتاة، وطريقي الوحيد يمر من هنا.

توقّف فاضل، ونظر إليه بدهشة أكبر:

. فتاة؟ إنقاذ؟ ماذا تقول؟

أجاب نادر مؤكدًا:

. أعلم أن الأمر يبدو غير معقول، لكنها الحقيقة.

قاطعه فاضل بحدة:

. من هي هذه الفتاة؟ وكيف أتت إلى هنا؟ نحن لسنا قطاع طرق ولا مجرمين! ما هذا الهراء؟!

رد نادر بهدوء:

. أنتم لم تخطفوها... من اختطفها هم من عالمٍ آخر.

ضحك فاضل ساخرًا وقال:

. عالم آخر؟ من أين؟ من المريخ؟ من المشتري؟ هل تظنني غبيًا لأصدق هذا الكلام؟

تنفَّس نادر بعمق، ثم قال بصوت هادئ:

أ لقد اقتربنا. أترى ذلك الطريق هناك؟

وأشار بإصبعه نحو جبل يلوح على بُعد أمتار قليلة منهم، وأضاف:

. هناك وجهتي... هناك طريقي.

نظر فاضل إلى الاتجاه الذي أشار إليه، ثم قال مستنكرًا:

. طريق؟! إنه مجرد جبل! ما الذي تقصده بالضبط؟

ابتسم نادر ابتسامة خافتة، وقال:

لنصل إليه أولاً، ثم ستعرف كل شيء.

تردد فاضل قليلًا، ثم قرر أن يسير خلفه وقد امتلأ قلبه بشيء من الخوف والريبة، يتساءل في داخله: ما الذي ينويه هذا الرجل؟

وبدأ يتمتم بآيات من القرآن الكريم، يحصّن بها نفسه من المجهول.

وما إن وصلا إلى أسفل الجبل حتى توقف نادر، والتفت إليه قائلاً:

. هل ستأتي معي؟

أجابه فاضل متوجسًا:

. إلى أين؟ لم تخبرني بأي شيء واضح حتى الآن!

تنهد نادر وقال:

ـــــ فكّر في الأمر. سـألقاك الأسـبوع القادم، في نفس المكان والوقت، لأكمل ما بدأت. سأحاول خلال هذه الفترة معرفة سبب اختطاف الفتاة والعودة بها.

وأضاف:

ـــــ سـامحني، لقد أخبرتك أكثر مما ينبغي... ولا يمكنني قول المزيد الآن. لكن أطلب منك وعدًا، أن يبقى ما رأيته وسمعته بيننا فقط، سرًا لا يخرج منك أبدًا.

نظر إليه فاضل بجدية، ثم قال:

. أعدك.

كاد نادر أن يُكمل حديثه، إلا أنه توقف فجأة، وبدأ يتمتم بكلمات غريبة غير مفهومة، ثم رفع يده اليمنى وحرّكها بطريقة غامضة...

وما لبث أن دوّى صوت غريب يشبه صرير باب قديم يُفتح في أعماق الأرض، واندفع غبار كثيف من المكان الذي يقف فيه نادر، فغشيت العتمة عيني فاضل، ولم يعد يرى شيئًا.

وبينما الغبار يتلاشى، وقف فاضل مذهولًا، وعيناه تبحثان في كل الاتجاهات... لقد اختفى نادر تمامًا! كأن الأرض قد ابتلعته.

صرخ فاضل بأعلى صوته:

. نادر! نادر!!

لكنه سرعان ما أسكت نفسه، خشي أن يسمعه أحد، فلن يصدقه إن قال ما رآه للتو... سيظنه مجنونًا.

وتذكر في تلك اللحظة الوعد الذي قطعه، فوضع يده على قلبه، وقال لنفسه بصوت خافت:

. لقد وعدته... لن أخبر أحدًا.

*****

عاد فاضل إلى البيت بوجهٍ غير الذي خرج به... وجهٌ أنهكته الدهشة، وثقل عليه ما رآه كأنما حلمٌ ثقيل أفسد يقظته. تمنى في سره لو أنه لم يغادر فراشه هذا الصباح، ولو أن كل ما جرى كان مجرد وهمٍ عابر في حلمٍ غريب.

لاحظت والدته شروده وهي تعدّ الفطور، فاقتربت منه وقالت بحنان:

. هل أنت بخير، يا ولدي؟

ابتسم ابتسامة باهتة وقال:

. نعم، أنا بخير.

لكن الحقيقة كانت عكس ذلك تمامًا... فقد كان أبعد ما يكون عن الخير، يردد في أعماقه:

. وأين هو الخير فيما رأيته؟!

لكنه لم يكن يعلم أن ما يخبئه له القدر، أعظم مما يتصوّر...

دخل إلى غرفته تائه الذهن، رأسه يعجّ بعشرات الأسئلة، وأفكارٌ تتدافع بلا نظام. لم يدم شروده طويلًا، إذ قاطعته والدته من جديد وهي تناديه:

. فطورك جاهز، بني.

كان قد أخبرها الليلة الماضية أنه اشتاق إلى طعامها ، بعد عامٍ قضاه في الجامعة يأكل من المطاعم التي لا تحمل طعم الدفء ولا رائحة البيت.

لكنه الآن، ومع كل ما شاهده، فقد طعم الشوق، واختفت لذة الطعام حتى قبل أن يبدأ بالأكل.

أنهى فاضل فطوره بصمت، ثم توجّه نحو مكتبة والده الصغيرة. كان يبحث عن أي تفسير لما حدث... أي كتاب، أي معلومة، حتى لو كانت أسطورة. راح يقلب الكتب واحدًا تلو الآخر، بلا جدوى.

جلس متكئًا على الحائط، أنهكه البحث، لكنه خشي أن يخبر والده أو والدته، خوفًا من أن يُقال عنه: إنه فقد صوابه.

غادر المكتبة، ودخل غرفته، أخرج محفظته، وجمع ما بها من نقود، ثم توجّه نحو الباب. سلّم على والدته، قبّل رأسها، واستأذنها في الخروج. كان والده لا يزال نائمًا، فدعت له:

. الله يحفظك من كل شر.

خرج فاضل والقلق يعتصر قلبه، يبحث عن وسيلة توصله إلى المدينة. وبعد انتظار قصير، لمحت عيناه سيارة قادمة من قرية مجاورة، فلوّح لها وتوقّف السائق، وصعد فاضل وهو متوكّل على الله.

في طريقه إلى المدينة، كانت الأسئلة تنهش رأسه:

. إلى أين أنا ذاهب؟ وهل يستحق الأمر كل هذا العناء؟

. وإن كان ما رأيته حقيقة، ما علاقتي به؟ ولماذا أنا؟

. وإن كان هراءً، فأي وقتٍ أضيّع الآن؟

همَّ أن ينزل في منتصف الطريق، لكنّه تذكّر كلمات نادر... "أنا بحاجة إلى مساعدتك".

أخذ فاضل نفسًا عميقًا، ثم قرر أن يُكمل الرحلة حتى النهاية.

وصل إلى المدينة بعد ما يقارب الساعة والنصف، دفع أجرة السيارة، ثم استقل دراجة نارية أوصلته إلى المكتبة الرئيسية في المدينة.

وقف أمام بوابتها، ينظر إلى بنائها الشاهق، وقال في نفسه:

. ما الذي جئت من أجله؟ وكيف سأعثر عليه في هذا المكان الكبير؟

ثم تذكّر عيني نادر القلقتين، وتلك الكلمات الغامضة... فدلف إلى الداخل.

جال في المكتبة طويلاً، قلب الرفوف رفًا رفًا، قرأ عناوين الكتب القديمة والجديدة، كل ركن بحث فيه، كل زاوية مرّ عليها.

لكنّ خيبته كانت أوسع من المكتبة نفسها، إذ خرج منها مرهقًا، خالي اليدين، وكل ما حمله معه هو التعب والأسى.

نظر إلى الشمس وقد اقتربت من كبد السماء... لقد قارب وقت الظهيرة، وها هو يعود إلى قريته، منهك الجسد، مشتّت الفكر، بلا إجابة.

أكمل فاضل يومه كعادته، لكن ذهنه ظل مشوشًا، وكأن عقله انفصل عن جسده... كان يذهب ويجيء، يتحرك ويأكل ويشرب، لكن كل ما يدور في داخله هو صورة نادر... كلماته... واختفاؤه الغريب.

وفي صباح اليوم التالي، وبينما كان يتناول فطوره على مضض، قرر أن يعود إلى المدينة من جديد. هذه المرة لم يكن ذاهبًا ليبحث عن كتب عامة، بل كان في ذهنه هدفٌ واضح... مكتب «الأثر»، فقد سمع ذات مرة من والده أن هذه المكتبة تحتفظ بكتب نادرة وقديمة.

وصل فاضل إلى المدينة بعد رحلة لم تكن أطول من تردده.

ما إن وطأت قدماه عتبة مكتبة «الأثر» حتى شعر وكأنه انتقل إلى زمنٍ آخر.

كان المكان واسعًا، لكن الصمت فيه كثيف، صمتٌ لا يقطعه سوى خشخشة الصفحات وأنفاس الكتب العتيقة.

ارتفعت الرفوف الخشبية حتى قاربت السقف، محمّلة بكتبٍ باهتة الأغلفة، كأنها تحمل على ظهورها ثقل قرونٍ من المعرفة المنسية.

تسلّل ضوء الشمس عبر نوافذ عالية ضيّقة، فتكسّر على ذرات الغبار العالقة في الهواء، مانحًا المكان هالةً مهيبة تشبه قدسية المعابد القديمة.

تفوح رائحة الورق المعتّق والحبر الباهت، رائحة لا يعرفها إلا من عاش بين الكتب طويلًا.

في زوايا المكتبة، وُضعت طاولات خشبية قديمة، علامات الزمن ضاهر عليها ، وكأن أيدي قرّاء مجهولين مرّوا بها وتركوا آثار أفكارهم فيها.

أما الرفوف الخلفية، فقد بدت أشبه بمتاهةٍ صامتة، تخفي بين جنباتها كتبًا لم تُفتح منذ أعوام، وربما منذ عقود.

شعر فاضل أن هذه المكتبة لا تحفظ الكتب فحسب، بل تحفظ الأسرار أيضً....

بدأ يتنقّل بين الرفوف، يبحث ويقرأ العناوين، يُقلّب الكتب، ويقلب معها ذاكرته... حتى أُنهك تمامًا، ولم يجد شيئًا.

وبينما هو في جولته المرهقة، لمح في الزاوية رجلاً عجوزًا، يرتدي نظارة سميكة ويغوص في قراءة كتاب قديم. توقف فاضل يتأمله، ثم حدّث نفسه:

. ربما يعلم شيئًا... لعله يفيدني...

اقترب منه بتردد، ثم ألقى عليه التحية:

. السلام عليكم.

رفع العجوز عينيه ورد التحية بابتسامة دافئة، فقال فاضل بعد لحظة صمت:

. أبحث عن كتاب أو مخطوطة تتحدث عن شيء يُسمى "العالم الآخر".

بدت على وجه العجوز علامات استغراب ممزوجة بالدهشة، ثم تبسّم قائلاً:

. العالم الآخر؟!

قالها وكأن الكلمة أيقظت شيئًا غائرًا في ذاكرته.

استغرب فاضل من ردة فعله وسأله:

. لمَ هذا الاستغراب؟

تنهد العجوز وقال:

ـ قبل سنوات... عثرت على كتابٍ قديم، يزعم مؤلفه أنه عاش تجربة غريبة... يتحدث فيه عن بلادٍ غير بلادنا، وأناسٍ لا يشبهوننا... قال إنك تستطيع الوصول إلى هناك عبر بوابات خفية، تختلف من بلد إلى آخر...

قرأت الكتاب أكثر من مرة، لكنني لم أفهمه جيدًا... ظننت أنه يهذي... هممت بالتخلص منه مرارًا، لكن شيئًا ما كان يمنعني.

قاطعه فاضل بسرعة ولهفة:

. هل ما زال الكتاب معك؟!

ضحك العجوز ضحكة خفيفة وقال:

. نعم، وكأنني كنت أحتفظ به لأجلك!

ثم نهض ببطء، وقال:

. تعال يا بني... تعال.

قاد العجوز فاضل إلى ركنٍ عتيق في المكتبة، بين رفوف يغطيها الغبار، وبدأ يبحث بين كتب بالية، يتمتم بصوت خافت:

. العالم الآخر... العالم الآخر...

وبعد لحظات، رفع كتابًا متهالك الغلاف، ونفض عنه الغبار، ثم قال بابتسامة غامضة:

. هذا هو كتابك يا بني.

أخذ فاضل الكتاب بيدين ترتجفان... قلبه يكاد يقفز من صدره، لم يصدق عينيه حين قرأ العنوان:

"عالمٌ آخر"

غمرته فرحة غريبة، لم تكن تشبه الفرح المعتاد، بل كانت أقرب إلى يقينٍ خفي يتسلّل إلى قلبه... ربما ما رآه لم يكن هلوسة... وربما، فقط ربما... كان نادر صادقًا!

شكر فاضل العجوز بحرارة، وسأله عن ثمن الكتاب، لكن العجوز ابتسم ابتسامة ودودة وقال:

. خذه دون مقابل، يا بني... لقد كنت أنوي إحراقه في المرة القادمة.

نظر إليه فاضل بامتنان، ثم مدّ يده ليصافحه وقال:

. جزاك الله خيرًا... لعل هذا الكتاب يحمل لي إجابة.

غادر المكتبة وهو يحتضن الكتاب كما يحتضن الغريق خشبة النجاة، وكان وقت صلاة العصر قد أزف، فاتجه إلى المسجد المجاور. أدى صلاته بخشوع، ثم عاد إلى بيته مسرعًا، شغوفًا بقراءة ما بين دفّتي الكتاب.

جلس في غرفته، وتصفّح الكتاب بشغف، لكن ما وجده لم يكن كما توقع. كانت صفحات كثيرة قد تآكلت، والكلمات قد بهتت، والعبارات تداخلت كأنها كتبت بلغة لا تنتمي إلى هذا العالم.

كل ما استطاع أن يستخلصه هو إشارات مبهمة عن "عالم آخر"، و"ممرات خفية"، و"أقوام ليسوا من البشر".

زفر فاضل بضيق:

. آه... آه... حتى هذا لا يحمل لي جوابًا واضحًا...

*****

مرّت الأيام عليه بطيئة كأن الزمن تجمّد منذ تلك الليلة الغريبة. لم يغب عن باله صوت الغبار، ولا ذلك المشهد الصاعق حين اختفى نادر أمام عينيه. حاول أن يعود لحياته العادية، أن ينغمس في يومياته المعتادة، لكن شيئًا ثقيلًا كان يلاحقه... ظلًّا غامضًا لا يفارقه.

وفي إحدى الليالي، جلس فاضل على سطح المنزل يتأمل السماء الصافية، ينظر إلى القمر كأنما يبحث فيه عن جواب. قال في نفسه:

. هل كان نادر مجنونًا؟ أم أنني أنا من فقد صوابه؟

. وإن كان ما قاله صحيحًا... فأي عالم هذا الذي تحدّث عنه؟!

شعر بنداءٍ داخليّ يحثّه على العودة إلى ذلك الجبل... إلى ذلك المكان تحديدًا.

لعلّه يجد شيئًا، ولو أثرًا صغيرًا... دليلاً يُطمئن قلبه.

تسلّل من منزله بهدوء، وحمل معه مصحفًا صغيرًا، وفانوسًا قديماً وجده بين مقتنيات والده. كان ضوء القمر كافيًا ليرشده في طريقه... وكأن السماء نفسها قررت أن تضيء له خطاه.

حين وصل إلى سفح الجبل، واقترب من المكان الذي شهد اختفاء نادر، اتسعت حدقتاه دهشةً وذهولاً...

فقد رأى أشياء لم يكن قد لاحظها من قبل، رغم مروره بالمكان أكثر من مرة:

أحجارٌ مرصوصة على هيئة دائرة هندسية غريبة، كأنها ترمز إلى بوابة خفية.

نقوش غامضة محفورة على الصخور، بلغة لا تشبه أي لغة بشرية رآها من قبل.

رائحة كبريت خفيفة عالقة في الهواء، تبعث على القشعريرة.

جثا فاضل على ركبتيه، وبدأ يتحسس تلك الأحجار بتردد ووجل...

وفجأة... سمع همسًا خافتًا يأتي من تحت الأرض، كأن المكان نفسه يتنفّس!

انتفض قلبه هلعًا، وقفز واقفًا، ثم جرى عائدًا إلى البيت كأن شـــيء يطارده. لم يتوقف إلا حين أغلق باب غرفته وراءه، وأغلق عينيه كأنه يريد أن يهرب من كل شيء.

في تلك الليلة، لم ينم. ظلّ يفكر ويتقلّب، حتى قرر أخيرًا... أنه لن يخذل نادر.

سيعود إلى الجبل، وسيكتشف الحقيقة، مهما كلفه الأمر.

بدأ يخطط لحيلة يقنع بها والديه... وبعد تفكير طويل، خطرت له فكرة.

أخبرهما بأنه سيذهب إلى المدينة للتدريب في مركز صحي، وأن أحد زملائه سيتولى استقباله هناك ومساعدته في التطبيق العملي.

لم يقتنعا في البداية، لكن إلحاحه وحرصه الظاهري على التعلم، جعلهما يوافقان في النهاية.

اســـتعد فاضـــل للرحيل، وحدد موعد المغادرة ليكون في اليوم ذاته الذي وعد فيه نادر أن يعود إليه فيه...

******

ومع بزوغ فجر اليوم السابع (اليوم الموعود)، كان فاضل قد قرر. سيرجع إلى المكان ذاته. لن يترك الأسئلة تأكله حيًّا.

لبس ملابسه، وأخذ كيسًا صغيرًا فيه مصحف، ومذكرة، وبعض الحاجيات التي جهزتها له أمه، ثم خرج قبل أن يستيقظ أهل البيت. مشى بخطى ثابتة نحو الجبل، والقلب في صدره كطبول المعركة.

وصل إلى المكان المحدد. وقف ينتظر. دقائق تمر... لا أحد.

– "هل كنت أحمقًا؟ هل هو مجرد كابوس؟"

لكن قبل أن يغادر، سمع صوت خطوات خفيفة خلفه. استدار... كان نادر!

لكن شكله تغير. بدا أكثر تعبًا، وجهه شاحب، وملابسه ممزقة بعض الشيء، وفي عينيه قصة لم تُروَ بعد.

قال فاضل بنبرة متوترة:

– ظننتك... لن تعود.

– وعدتُك أن أعود.

اقترب نادر، وجلس على صخرة قريبة، وأشار لفاضل أن يجلس بجانبه.

ما سأقوله لك الآن، أخطر مما سمعت من قبل. وإن قررت أن تكمل معي الطريق، فاعلم أنك لن تكون نفس الشخص بعدها .

– أخبرني.

– ما رأيته الأسبوع الماضي، لم يكن سحرًا، ولا خيالًا. إنه بوابة. تؤدي إلى عالمٍ آخر. عالم يسكنه قومٌ ليسوا من الإنس... ولا من الجن. يسمّون أنفسهم "ظلّيون".

– ظلّيون؟ ما هذا الاسم؟ ومن هم؟

– كي تفهم، عليّ أن أعود بك إلى البداية...

سـرد نادر قصـته، وكيف تعرّض ذات يوم في المكتبة الجامعية لكتاب غريب لم يكن موجودًا ضمن فهرس الكلية. لم يكن عليه عنوان، فقط رموز غامضة. وما إن فتحه حتى رأى كلمات تتوهج، وصورة فتاة عشرينية بعينين خضراوين تتوسل النجدة.

منذ تلك اللحظة، بدأ يسـمع أصـواتًا في الليل، ويرى أحلامًا متكررة. فتاة تناديه باسمه، وتطلب منه المجيء.

في البداية ظنّها هلوسات. لكن مع مرور الوقت، صار يسمع صراخها يقظًا، ويشعر بحرارتها تخرج من صفحات الكتاب.

– وفي أحد الأيام، قررت أن أتبّع الرموز. وبعد بحث طويل... وصـلت إلى الجبل. وهناك، بدأت رحلتي.

صمت نادر، ثم قال:

– لقد دخلت، ورأيت عالمهم. الظلّيون ليسـوا أشـرارًا كلهم، لكن هناك من اختطف الفتاة، وهي... من البشر!

– فتاة بشرية؟ كيف وصلت إلى هناك؟!

– نعم فتاة بشرية واسمها "سيرين".

سكت فاضل برهة، ثم قال ببطء:

وماذا يريدون منك؟ ولماذا اختطفوها؟ وماذا تطلب مني الآن؟ ثم أردف بسـرعة: تعال معي إلى البيت أولًا، لئلا يلحظنا أحد. تحتاج لتغيير ثيابك، والراحة.

ذهبا معًا إلى بيت فاضل، ودخلا بهدوء دون أن يشعر بهما أحد.

اغتسل نادر، وارتدى ثياباً نظيفة ناولها إياه فاضل".

ثم بدأ نادر بإكمال حديثه:

– لقد طلبوا مني شيئًا... مخطوطات قديمة، تعود لعصور ضائعة لا نعرف عنها شيئًا. قالوا إنها السبيل لفتح ما يسمّونه "البوابة الكبرى". من يملك تلك المخطوطات، يستطيع التحكم بجزء من الزمن هناك.

اتسعت عينا فاضل، وقال بدهشة:

– ولماذا يريدون فتح هذه البوابة؟ وما علاقتها بسيرين؟

أجاب نادر بصوت متهدج:

– هذا ما لم يخبروني به صراحة. لكنني شعرت أن سيرين ليست فتاة عادية. هناك شيء فيها... طاقة فريدة. بعضهم يخشاها، وبعضهم يراها أملًا. سمعتهم يهمسون: "إن عادت، سيتغير كل شيء".

تبادل الصديقان النظرات، ثم قال فاضل ببطء:

– نادر... رغم كل ما سمعته، أنا معك.

نظر إليه نادر بدهشة:

– حقًا؟ رغم أنك لا تعرف كل شيء بعد؟

ابتسم فاضل وقال بثقة:

– لا أعرف كل شيء، لكنني أعرف شيئًا واحدًا... لن أدعك تذهب وحدك. وسنفعل ما بوسعنا لإنقاذ الفتاة.

نهض نادر من مكانه، وتوجه نحو النافذة وقال:

– إذن استرح اليوم. غدًا... سنبدأ أولى خطوات الرحلة. وسنبحث عن أولى المخطوطات.

سأله فاضل:

– وأين سنجدها؟

أجاب نادر بنبرة غامضة:

– في مكان لن تتوقعه أبدًا... أعماق أطلال المدينة الغارقة.

قال فاضل بدهشة:

– مدينة غارقة؟ أتمزح؟!

ابتسم نادر بهدوء:

– لا أمزح يا فاضل

المدينة الضالة أو كما يسميها البعض المدينة الغارقة ... هي مكان قديم، يقال إنها اختفت منذ عقود من عالم الظلّيين ، وكانت مأهولة بكائنات تجمع بين البشر والظلّيين، كجسر بين العالمين. واختفاؤها ترك خللًا في توازن عالمهم.

سكت لحظة ثم قال:

– سيرين... ليست مجرد فتاة تم اختطافها. بل هي من نسل امرأة بشرية دخلت ذلك العالم قبل عشرات السنين، وتزوجت أحد حكمائهم. دمها يحمل النقاء البشري والنور الكامن في الإنسان، وهم يظنون أنها "السبيل" لإعادة فتح بوابة المدينة الضالة.

اتسعت عينا فاضل وهو يتمتم:

– وسيرين... كيف وصلت هناك؟

غدًا، سنغوص في أول أسرار "الظلّيين وستعرف كل شي".

*****

في صباح اليوم التالي، نهض من فراشه وقد غلبه الأرق طوال الليل، فقد ظلت كلمات نادر تتردد في ذهنه: "المدينة الغارقة... المخطوطات... سيرين...".

نهض وتوضأ، صلّى الفجر، ثم جلس بجوار نافذته، ينتظر شروق الشمس كمن ينتظر إشارة للانطلاق.

دخل نادر الغرفة بصمت، يحمل حقيبة صغيرة. قال:

– حان وقت الرحيل.

رد فاضل:

– إلى أين؟

– إلى المدينة الضالّة.

اتسعت عينا فاضل وقال:

– هل تقصد... المدينة الغارقة التي اختفت منذ عقود؟!

هز نادر رأسه:

– لم تختفِ تمامًا... إنها مدفونة تحت أطلال قديمة، في منطقة مهجورة، لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها

سأل فاضل وقد بدأ قلبه يضطرب:

– وهل المدينة الضالة حقيقية؟

ابتسم نادر بمرارة:

– أكثر من الحقيقة. إنها مدينة منسية، مليئة بالأسرار... وقوى لا يمكن تخيّلها. والآن... علينا أن نصل إليها قبلهم، قبل أن يستخدموا سيرين لإحيائها. لكننا لن نبحث عن المدينة وحدها... سنبحث عن المؤلف.

– المؤلف؟ أي مؤلف؟

قال نادر بنبرة غامضة:

– مؤلف الكتاب الذي وجدته في مكتبة المدينة... كتاب "عالم آخر".

اندهش فاضل:

– لكن الكتاب تالف، وصفحاته ممزقة، ولا يحمل اسمًا.

ابتسم نادر:

– بلى، هناك اسم... لكنه مخفي.

أخرج من جيبه ورقة مطوية، وقال:

– بعدما أخبرتني عنه، ذهبت لاحقًا إلى المكتبة نفسها، وتحدثت إلى العجوز. وبتفتيش بعض دفاتر الجرد القديمة، عثرنا على اسم من نسب إليه الكتاب..

واكمل نادر مؤلف الكتاب الذي وجدته في مكتبة المدينة... لم يكن مؤلفًا عاديًا. اسمه الحقيقي "رُهيم"، كان إنسيًا دخل ذلك العالم قديمًا ودوّن تجاربه في ذلك الكتاب، لكن معظم الناس لم يفهموا كلماته. ما لا تعلمه هو أن سيرين حفيدته.

صُعق فاضل:

– حفيدته؟!

نعم. وعندما اختفى رُهيم، تُركت سيرين هنا، لكنها كانت تحمل علامات الانتماء للعالمين، وظلت خفية عن الأنظار... حتى عثر عليها أحد الظلّيين، وخطفها لإحياء المدينة الضالة من جديد.

– "رُهيم"...؟ الاسم ليس مألوفًا...

قال نادر:

– رُهيم عالم عاش في أوائل القرن العشـــرين، اختفى في ظروف غامضـــة أثناء بعثة أثرية إلى أطلال المدينة الضالة. ترك خلفه مذكرات وأبحاث عن بوابات بين العوالم...

سأل فاضل نادر: "كيف عرفت كل هذه المعلومات"؟.

نظر نادر إلى فاضل بعينين مليئتين بالرهق والذكريات، ثم قال:

"سؤالك في محله يا فاضل... كيف عرفت بكل هذا؟ سأخبرك الآن."

"بعد عثوري على الكتاب الغامض في مكتبة الجامعة، بدأت أقرأ فيه رغم صـــعوبته. لم يكن مجرد نص تقليدي، بل شـــيء حيّ. كلما تعمقت أكثر، كانت هناك رؤى... أصـــوات... ومشاهد تتكرر في منامي ويقظتي."

سكت لحظة، ثم أكمل:

"هذه الرؤى لم تكن عشوائية. كانت فتاة تظهر لي باستمرار، ذات عينين خضراوين تشعّان بالحزن، تناديني باسمها: 'ســـيرين' وتطلب النجدة. في البداية ظننت أنني أتوهم. لكن مع مرور الأيام، بدأت الأصـوات تتخذ شـكلاً... كأن هناك من يحاول الحديث معي من خلال الأحلام."

"وهنا ظهر لي كائن غريب... ظلّي ، لكنه لم يكن مثل البقية فقد كان ظلّيًا طيبًا. كان اسمه مالك. أخبرني الحقيقة شيئًا فشيئًا. قال إن سيرين ليست مجرد فتاة ضائعة، بل هي من نسل بشري نادر... تحمل دماء إنسية ونورًا داخليًا يسعون لاستغلاله."

"مالك كان يومًا من حكمائهم، لكنه انشــق حين علم بخطط الفصــيل المتطرف من الظلّيين بقيادة كائن شرس يُدعى 'ناركيل'. هذا الأخير يسعى إلى إعادة إحياء المدينة الضالة، والتي أُغلقت منذ عشرات السنين ، معتقدًا أن دم سيرين هو المفتاح لذلك."

"ثم عرفت الحقيقة الأكبر... مؤلف الكتاب لم يكن ســـوى رُهيم، عالم بشـــري دخل عالم الظلّيين قبل ما يقارب مئة عام، ودوّن تجاربه في هذا الكتاب قبل أن يُفقد أثره. مالك أخبرني أن رُهيم تزوج من امرأة بشرية كانت ضائعة في عالمهم، وأنجبت منه ابنة... هي والدة سيرين التي تزوجت أحد حكامها كما أخبرتك مســـبقًا. وحين أحس بالخطر على حفيدته، أخفاها وأعادها إلى عالمنا، وترك خلفه ذلك الكتاب لمن سيجدها لاحقًا."

هنا ارتجفت نبرة نادر قليلًا:

"رُهيم لم يمت، لكنه دخل أعماق المدينة الضـــالة محاولًا إغلاق بوابتها من الداخل... ولم يُر بعدها."

والمدينة الغارقة كما اخبرني مالك...

ليست مجرد أطلال ضائعة أو خرافة قديمة، بل كانت يومًا ما مركزًا لحضارة لا تشبه ما عرفه البشر. تقع في مكان خارج حدود الزمان والمكان المعروفَين، ولا تُرى إلا عبر بوابات غامضة لا تُفتح إلا في ظروف نادرة، لأشخاص يحملون صفات خاصة.

يُقال إن هذه المدينة كانت مأهولة بكائنات تُدعى الظلّيين، مزيج من طاقة وروح، لا يشـــبهون الإنس ولا الجن، بل نوع آخر من الوجود. كانت لهم ممالك، علوم، ومخطوطات تُكتب بنبض الفكر لا الحبر. كانوا يعيشون بسلام، حتى دبّ الخلاف بينهم، وانقسموا إلى حكماء مسالمين... وفصيل متعطش للقوة والخلود.

هؤلاء المتطرفون سعوا إلى فتح بوابات نحو عوالم البشر، لا لغزوها فقط، بل لسرقة النور البشري – تلك الطاقة التي لا توجد إلا في الإنسان، طاقة الأمل والإبداع والإيمان.

المدينة الغارقة هي بقايا مملكة ذلك الفصيل، وقد أغلقها الحكماء منذ قرون بطقوس معقدة لمنع الشر من الخروج. لكن تلك الطقوس بدأت تضعف... والبوابة التي عُرفت باسم "عابرة النور"،(البوابة الكبرى) تنتظر دماً نقيًا يعيد تفعيلها.

ويُعتقد أن ذلك "الدم النقي" لا يوجد إلا في نسلٍ معين... نسل امرأة بشرية دخلت المدينة يومًا وارتبطت بأحد حكمائها. وسيرين... هي الحلقة الأخيرة من ذلك النسل.

تبادل نادر وفاضل نظرة طويلة صامتة، ثم قال فاضل ببطء:

– "وما خطتنا؟"

رد نادر بثبات:

"سنذهب إليها يا فاضل... سننقذ سيرين، وسنُفشل طقوسهم قبل أن تُفتح البوابة. مالك أخبرني أن الوقت يقترب... وأننا إن تأخرنا، فلن يكون هناك عودة."

نهض فاضل من كرسيه ببطء:

– إذاً... الأمر أكبر مما تخيلت.

رد نادر وهو يضع يده على كتف فاضل:

– ولهذا طلبت مساعدتك. إن سقطت المدينة الضالة في أيدي الظلّيين المتطرفين، فلن تتوقف الأمور عند حدود عالمهم فقط... بل سيبحثون عن التوسع لعالمنا.

صمت الاثنان، وقد بدت في الأفق بداية مغامرة... لا تشبه أي شيء عرفه فاضل من قبل.

الفصل الثاني

غاب فاضـــل قليلًا، ثم عاد إلى نادر وهو يحمل بعض الأغراض التي قد تعينهما في رحلتهم القادمة: زادٌ من الماء والطعام، ومصابيح كاشفة، وأدوات بسيطة للطوارئ.

حملاها في حقائب ظهريّة، وتبادلا النظرات بصـمتٍ، كأنهما على وشـك عبور الحدّ الفاصـل بين الحلم والواقع.

اتجها معًا نحو الجبل، إلى ذات النقطة التي شهدت عبور نادر الأول.

كان الصمت يخيّم على المكان، لا يُقطعه سوى وقع أقدامهما على الصخور.

وبينما كانا يقتربان من السفح، قال نادر وهو يرمق فاضل بعينين ثابتتين:

– "ســـنلتقي بمالك وبملك الظليين بعد دخولنا البوابة، كما وعدني. ســـيُخبرنا أكثر... عن المدينة الغارقة."

وصلوا. جلسا قليلًا على صخرة بارزة لأخذ قسطٍ من الراحة.

ثم نهض نادر، وأمســك بيد فاضــل، ثم أمره بأن ياخذ نفس عميق، وبدأ يُلوّح بيده الأخرى في الهواء، كما فعل في المرة الأولى.

لم تمضِ ثوانٍ حتى علا المكان غبار كثيف، ودوّى صــوت خافت كأن الباب بين عالمين يُنتزع من المفاصل.

هوت أقدامهما فجأة، كأن الأرض ابتلعتهما.

سقطا في دوّامة سحيقة مظلمة، لا يُرى فيها شيء.

هواء المكان كان مشبعًا برائحة كبريتية خانقة، وكأن المكان تنفّس من جوف بركان.

أنار فاضل مصباحه بتوتر، وانكمش قلبه مما رآه: جدران الكهف مغطاة بطلاسم غريبة، نقوش شبيهة بتلك التي رآها في أسفل الجبل في زيارته الأولى.

تملك الخوف قلبه، وراح ينادي:

– "نادر! نادر أين أنت؟!"

وما هي إلا لحظات حتى أضاء نادر مصباحه بدوره، فاندفع فاضل إليه، وقد خفّ القلق من قلبه قليلًا.

– "هل أنت بخير؟"

– "بخير الحمد لله ...."

ثم فجأة، بدأ نادر يتمتم بكلماتٍ لم يفهمها فاضل.

لغة غريبة، كأنها تُنطق لا من فم بل من جوف الروح.

وفجأة، ومن عمق العتمة... ظهر شخص طويل القامة، هيئته غير بشرية، جسده كأنّه يتكوّن من ظلال ونور في آنٍ واحد.

تسارعت أنفاس فاضل، وارتدّ إلى الخلف قليلًا، لكن نادر وضع يده على كتفه قائلًا:

– "لا تخف... إنه مالك" قال نادر مطمئنًا.

اقترب الكائن بخطوات هادئة، وقال بصوت عميق دافئ:

– "مرحبًا بكما في مملكتنا مملكة الظليين. هل هذا صديقك الذي أخبرتني عنه يا نادر؟"

– "نعم، اسمه فاضل. أثق به."

ابتسم مالك، أو ما بدا كأنه ابتسامة تتشكّل من طاقة:

– "أهلًا بك، يا فاضل. وشكرًا لأنك أجبت النداء."

بعد أن شعر فاضل بالاطمئنان، وأن مالك ليس خطرًا، جلس الثلاثة في بقعة أضاءوها بمصابيحهم، فسأل فاضل بصوت خافت، لكن شغفه لا يخفى:

– "مالك... أخبرني. من أنتم؟ من هم الظلّيون؟ ما قصتكم؟ وماذا حدث لعالمكم؟"

أغمض مالك عينيه، كأنما يستدعي من أعماق الزمن سردًا قديمًا، ثم قال بصوتٍ يملؤه الحنين والأسى:

– "استعد يا فاضل... فما ستسمعه الآن، لا يُروى إلا لمن اقترب من عبور الحقيقة."

قبل أن نبدأ رحلتنا إلى المدينة الضالة، يجب أن تستريحا وتفهما طبيعة هذا العالم بشكل أعمق.

تعالوا معي."

أشار مالك بيده، وبدأ الضباب يتلاشى ليكشف عن ممر ضيق يؤدي إلى كهف واسع مضاء ببلورات متوهجة خافتة من السقف.

لم يكن كهفًا عاديًا، بل كان أشبه بملاذ طبيعي نحتته الطاقة.

ساروا خلف مالك إلى الكهف ثم عبروا نفق، بعد خروجهم من الكهف إلى فضاء مفتوح.

بدا المشـــهد خياليًا: أبراج شـــفافة من طاقة مضـــيئة، ممرات معلّقة في الهواء، وكائنات ظلّية تتحرك في تناغم، وجوٌ يطغى عليه الصمت والسكون.

أُدخلوا إلى قاعة دائرية عظيمة، تتوسطها شعلة بيضاء لا تنطفئ.

كان في انتظارهم جمع من الكائنات الشفافة، أقرب إلى الأرواح من الأجساد.

جلســوا على عرش دائري، وفي المنتصــف وقف كائن أكثر إشــعاعًا وهيبة... ملك المملكة الظلية.

رحّب الملك حكيم بهم قائلًا:

أهلاً بكم أيها البشــر النقيون،" قال الملك الظلي بصــوت عميق ومهيب. "لقد سمعنا عنكم من مالك، وعن شجاعتكم.

ندرك حجم التضحية التي تقدمونها بقدومكم إلى عالمنا."

لقد كنّا ننتظر من يحمل النور في قلبه، من يتبع أثر رُهيم."

جلس فاضل ونادر على وسائد ضوئية، وقد شعر فاضل بنوع من السلام يحيط بهذا المكان، على عكس الأجواء المتوترة التي اعتادها في عالم الظل حتى الآن.

"دعونا نبدأ بتقديم الضيافة، فالمغامرة تستنزف الروح والجسد." قال مالك، وأشار إلى طاولة صــخرية كانت عليها أطباق من فواكه غريبة تضــيء بخفوت، وكؤوس تحوي ســائلاً فضــيًا متلألئًا. "هذا زادنا، ليس كزادكم، لكنه يغذي الروح والطاقة."

تناول فاضل ونادر الطعام والشراب، وشعرا بطاقة غريبة تسري في جسديهما، تزيح عنهما الإرهاق.

"الآن، اسمحوا لنا أن نشـــرح لكم أكثر." قال الملك. "المعلومات هي ســـلاحكم الأول في المدينة الضالة."

"لكي تفهموا ما نحن بصدده، يجب أن تعرفوا المزيد عن الظليين."

نحن لســـنا كائنات مادية بالكامل، ولا أرواحًا هائمة. نحن مزيج من الاثنين، نعيش في توافق مع طاقة هذا البُعد. بيئتنا تتفاعل مع مشاعرنا وأفكارنا. الضوء هنا مختلف، يتخلل الأشياء بدلاً من أن ينعكس عنها. الهواء مشبع بطاقة خفية يمكننا استشعارها والتلاعب بها."

"عاداتنا وتقاليدنا كانت مبنية على التوازن والوئام.

كنا مجتمعًا يحترم الحكمة والمعرفة.

لغتنا ليست مجرد أصوات، بل هي اهتزازات تحمل المعنى والقوة.

نظام حكمنا كان يقوم على مجلس من الحكماء، يتم اختيارهم بناءً على حكمتهم وقدرتهم على الحفاظ على التوازن."

تنهد الملك بحزن. "لكن مثل أي مجتمع، ظهر بيننا من سعى إلى القوة المطلقة.

ناركيل كان من بينهم. لقد أقنع أتباعه بأن استعادة 'المدينة الغارقة ' وفتح 'البوابة الكبرى' سيمنحهم سيطرة على الزمن والطاقة بشكل لم يسبق له مثيل.

لقد رأوا في النور البشري، طاقة الإرادة والإبداع والحلم والإيمان التي يمتلكها البشر، مصدر قوة يمكن استغلاله."

"الآن، مجتمعنا منقسم.

هناك من يؤمن بالحفاظ على التوازن والسلام، وهم قلة الآن، نختبئ ونسعى جاهدين لمنع ناركيل من تحقيق مخططه.

وهناك أتباعه، الذين يستخدمون القوة والقسوة لتحقيق أهدافهم.

العلاقة بيننا هي علاقة صراع دائم، مطاردة ومراوغة.

هم أقوى في الظاهر، لكننا نمتلك معرفة أعمق بأسرار هذا العالم."

"نستطيع التلاعب بالطاقة المحيطة بنا، وهو ما قد يبدو لكم سحرًا.

يمكننا التحرك بسرعة فائقة كالظل، والتواصل عبر الأفكار، وتشكيل الطاقة لأغراض مختلفة، مثل الحماية أو الهجوم. بعضنا لديه قدرات فريدة أكثر قوة، لكن استخدام هذه القدرات له ثمن دائمًا، فهو يستنزف طاقتنا الروحية."

ثم اكمل

المدينة الظالة ليست مجرد مدينة مهجورة. طاقتها لا تزال حية، لكنها مشوهة بسبب الصراع والانقسام." قال الملك وهو يشير إلى بلورات ضخمة متوهجة بخفوت مثبتة على بعض الأبنية. "هذه البلورات كانت مصدر طاقتنا، لكن بعضها تالف الآن ويمكن أن يطلق موجات طاقة غير مستقرة."

"هناك أيضًا أسرار مخبأة في هذه الأنقاض. مكتبات وورش عمل قديمة تحتوي على معرفة ضائعة. ناركيل يبحث عنها أيضًا، لأنها قد تساعده في فهم كيفية فتح 'البوابة الكبرى'."

"أما التحديات، فهي عديدة. أولاً، أتباع ناركيل قد يكونون في أي مكان، يحرسون المواقع المهمة أو يبحثون عنا. ثانيًا، طبيعة المدينة نفسها خطرة. هناك فخاخ طاقة قديمة، ومناطق مشوهة يمكن أن تؤثر على عقولكم وأجسادكم. ثالثًا، بعض الكائنات الظلية التي فقدت صلتها بالعقل أصبحت تسكن هذه الأنقاض، وهي تتصرف بغرائز بدائية ويمكن أن تكون عدوانية."

ثم أشار إلى نقش غريب على جدار متصدع. "هذه نقوش تحوي تعاويذ حماية قديمة، لكن الكثير منها تآكل أو تم تحريفه. إذا عرفتم كيف تقرأونها، فقد تساعدكم."

"والآن نأتي إلى الأهم، المخطوطات. هذه المخطوطات ليست مجرد نصوص، بل هي كائنات طاقية حية، كتبت بنبض الأفكار البشرية القديمة، وتتفاعل مع طاقة النور البشري الخالص."

"جد سيرين، رُهيم، كان إنسانًا نقيًا، وقد أودع في هذه المخطوطات جزءًا من طاقته ونوره. نحن الظليون نستطيع قراءتها وفهمها جزئيًا، لكننا لا نستطيع التعامل معها بشكل كامل أو تفعيلها بالطريقة المطلوبة لإغلاق البوابة. إنها تتطلب لمسة من إنسان يحمل نورًا خالصًا غير ملوث بطاقة الظل، طاقة الأمل والإيمان والإرادة الحرة المطلقة التي لا توجد إلا في البشر."

"المخطوطات، بطبيعتها، محمية ليس فقط بفخاخ ظلية، بل بحواجز طاقية لا يمكن اختراقها إلا بوجود روح بشرية خالصة النية، روح لا تسعى للقوة، بل تسعى للخلاص والتوازن. لهذا السبب، ظهر رُهيم لنادر في أحلامه واختاره، لأنه رأى فيه تلك النية الطيبة."

"أما عن ناركيل وأتباعه، فهم يسعون للقوة والسيطرة. هذه النوايا، بطبيعتها، تتعارض مع جوهر المخطوطات. طاقتهم المشوهة بالرغبة في السيطرة لا يمكنها الاقتراب من الحماية الطاقية للمخطوطات دون أن تتضرر أو تتصدى لها. لقد حاولوا مرارًا وتكرارًا، ولكنهم فشلوا. كلما اقتربوا، تصدت لهم المخطوطات بطاقة هائلة، أو أغلقت البوابات المؤدية إليها في وجوههم. لهذا السبب، سعوا لخطف سيرين؛ هم يعتقدون أن دمها النقي هو المفتاح لتجاوز هذه الحواجز، واستخدامها كأداة للوصول إلى المخطوطات وتفعيل البوابة الكبرى."

"المخطوطات ليست مجرد أدوات، بل هي تملك نوعًا من الوعي. إنها ترفض من يحمل الشر في قلبه. هذا هو السبب في أنكم، أنتم البشر، أملنا الوحيد. أنتم من تستطيعون الوصول إليها، ومن خلالها، إغلاق البوابة الكبرى وإنقاذ العالمين من دمار ناركيل."

"هدفنا هو جمع المخطوطات قبل ناركيل. فقط من خلالها نستطيع فهم كيفية التحكم في طاقة سيرين، وتوجيهها نحو إغلاق البوابة الكبرى لا فتحها. دمها النقي يحمل مفتاح التوازن، لا التدمير."

"البحث عن المخطوطات سيكون محفوفًا بالمخاطر. ستواجهون أتباع ناركيل، والفخاخ القديمة، والكائنات المشوهة التي تسكن الأنقاض. كل مخطوطة محمية بألغاز وتحديات صعبة تتطلب الذكاء والشجاعة."

"المخطوطة الأولى، على سبيل المثال، يُعتقد أنها مخبأة في المكتبة السفلى، وهي متاهة تحت الأرض مليئة بالفخاخ الصوتية والظلال المتحركة. لن تكون مجرد مسألة بحث، بل اختبار لقدرتكم على البقاء والتفكير في المواقف الصعبة."

توقف الملك، ورفع يده، فنزل من السقف عدد من البلورات الصغيرة المضيئة التي تشبه المصباح. "خذوا هذه. ستمدكم بالطاقة، وستكشف عن بعض الفخاخ الخفية في أُولِدْ*(الاسم القديم للمدينة الظالة). سنزودكم أيضًا بخريطة تقريبية للمدينة، لكنها غير مكتملة، وعليكم الاعتماد على حدسكم وشجاعتكم. مالك سيرافقكم، وسيوجهكم قدر الإمكان، لكن القرار الأخير سيكون لكم."

"الآن، استعدوا. رحلتكم الحقيقية تبدأ من هنا."

الفصل الثالث

ودّع فاضل ونادر مضيفيهما الظلّيين بقلوب مثقلة بالامتنان والقلق.

كان السلام الذي لفّ قاعة الملك أشبه بحلم قصير تبدد مع أول خطوة خارج الملاذ الآمن.

عاد الهواء يحمل تلك الرائحة الكبريتية الخافتة، وعادت الظلال تتراقص على الجدران البلورية للممر المؤدي إلى الخارج، مذكرة إياهم بحقيقة العالم الذي ولجاه.

سار مالك في المقدمة، جسده الظلّي يتحرك برشاقة صامتة، بينما تبعه نادر بخطى ثابتة تخفي توترًا دفينًا.

أما فاضل، فكان مزيجًا من الرهبة والإصرار.

كل حواسه كانت متيقظة، عيناه تمسحان الأرجاء، وأذناه تلتقطان أضعف الأصوات، وقلبه يخفق بقوة، ليس فقط من الخوف، بل من ثقل المسؤولية التي ألقيت على عاتقه فجأة.

أمسك بالمصحف الصغير في جيبه، مستمدًا منه شعورًا بالطمأنينة في هذا العالم الغريب. الطريق إلى أولد (المدينة الضالة) ليس سهلاً، قال مالك بصوته العميق الذي بدا وكأنه يتردد في الهواء مباشرة دون أن يصدر من فم محدد.

الطاقة هنا متقلبة، تتأثر بالصراع الدائر، وقد تغير التضاريس أمامنا في أي لحظة.

الخريطة التي معنا مجرد دليل تقريبي، أما الباقي فيعتمد على حدسنا، وعلى هذه. وأشار إلى البلورات المضيئة التي حملوها، والتي كانت تنبض بنور خافت وثابت.

كانت الرحلة عبر عالم الظل أشبه بالسير في لوحة سريالية تتغير باستمرار.

لم تكن هناك شمس واضحة، بل ضوء منتشر يأتي من مصدر غير مرئي، يلقي بظلال طويلة وغريبة الأشكال. الأرض تحت أقدامهم لم تكن ترابًا أو صخرًا بالمعنى المألوف، بل مادة تبدو صلبة لكنها تتنفس بطاقة خفية.

رأوا نباتات بلورية تتوهج بألوان باردة، وأشجارًا تبدو أغصانها كأنها دخان متجمد.

مرت بهم كائنات ظلّية صغيرة، بعضها يشبه الحشرات الطائرة المتلألئة، وبعضها ينساب على الأرض كظلال سائلة، لكنها كانت تتجنبهم، وكأنها تشعر بالهالة المختلفة التي تحيط بالبشر.

تقدموا، زاد شعور فاضل بالمراقبة.

لم يرَ شيئًا محددًا، لكن إحساسًا بأن عيونًا خفية تتابعهم من بين الظلال لم يفارقه.

لاحظ نادر هذا التوتر على وجه صديقه، فاقترب منه وهمس: لا تقلق، مالك معنا، وهو يشعر بأي خطر قبلنا.

لكن كن حذرًا، هذا العالم لا يرحم الغافلين.

بعد مسير طويل، بدأت معالم البيئة تتغير.

أصبح الهواء أثقل، والضوء أكثر خفوتًا، وبدأت تظهر في الأفق هياكل ضخمة ومحطمة، كأنها بقايا حضارة عملاقة ابتلعها الزمن والخراب.

وصلوا أخيرًا إلى مشارف أطلال المدينة الظالة.

كان المشهد مهيبًا ومخيفًا في آن واحد.

أبراج شاهقة مائلة، بعضها مكسور من المنتصف، وجدران متصدعة تغطيها نقوش غريبة تآكلت بفعل الزمن والطاقة المشوهة.

ساحات واسعة كانت يومًا ما تعج بالحياة، أصبحت الآن مقابر للصمت والركام.

طاقة المكان كانت ثقيلة، مشبعة بالحزن والغضب واليأس، كأن صرخات الماضي لا تزال تتردد في الهواء.

شعر فاضل بقشعريرة تسري في جسده، ليس من البرد، بل من ثقل التاريخ المأساوي الذي يلف المكان.

هذه هي أولِدْ، قال مالك بصوت خافت يملؤه الأسى. "كانت يومًا مركزًا للحكمة والنور، قبل أن يلوثها طمع ناركيل وأتباعه.

الآن، هي مجرد ظل باهت لما كانت عليه، ومكان خطر.

الفخاخ الطاقية التي وضعها الحكماء لإغلاقها لا تزال نشطة في بعض الأماكن، وقد تكون قاتلة.

وهناك مناطق تشوهت فيها الطاقة لدرجة أنها قد تؤثر على عقولكم إذا بقيتم فيها طويلاً.

والأسوأ... بعض الظلّيين الذين فقدوا عقولهم في الصراع أصبحوا كوحوش هائمة تسكن هذه الأنقاض، يهاجمون أي شيء يتحرك." أشار مالك إلى نقش باهت على جدار قريب. هذه كانت رموز حماية، لكنها ضعيفة الآن. لا تعتمدوا عليها.

بدأوا بالتقدم بحذر بين الأنقاض، مسترشدين بالخريطة والبلورات التي كانت تتوهج بشكل متقطع عند الاقتراب من بعض المناطق، محذرة من خطر غير مرئي. كان مالك يشير أحيانًا إلى مسارات جانبية، متجنبًا مناطق بدت طبيعية لكنها كانت تخفي فخاخًا طاقية. بعد فترة من البحث المتوتر، وصلوا إلى ما بدا أنه مدخل منهار جزئيًا لمبنى ضخم، غائر في الأرض.

هذا هو المدخل إلى المكتبة السفلى، قال مالك.

المخطوطة الأولى يجب أن تكون في أعماقها. لكن احذروا، المكتبة ليست مجرد مكان لحفظ المعرفة، بل هي متاهة صُممت لحماية أسرارها.

دلفوا إلى الداخل. الظلام كان كثيفًا، أعمق من أي ظلام عرفه فاضل. أشعلوا بلوراتهم، فكشفت عن ممرات ضيقة متشعبة، وجدران مغطاة برفوف فارغة أو محطمة، وأرضية مغطاة بالغبار وطبقات من شيء لزج غريب. الصمت كان مطبقًا، لا يقطعه سوى صوت خطواتهم الذي كان يتردد بشكل مخيف في الممرات، كأن الجدران نفسها تستمع وتنتظر.

كانت المكتبة متاهة حقيقية. كل ممر يشبه الآخر، وكل زاوية تخفي احتمال طريق مسدود أو فخًا جديدًا. اعتمدوا على ذاكرة مالك وخبرته، وعلى وميض البلورات الذي كان يرشدهم أحيانًا.

في بعض المناطق، كانت البلورات تتوهج بقوة وتحذرهم من التقدم، فأجبروا على البحث عن طرق بديلة. ثم واجهوا أول تحدٍ حقيقي.

وصلوا إلى قاعة واسعة، أرضيتها مغطاة ببلاطات غريبة. ما إن خطى نادر أول خطوة حتى اهتزت الأرض وسمعوا صوت أزيز حاد. "فخ صوتي!" صرخ مالك. "علينا عبور القاعة بصمت تام، أي صوت سيفعّل الفخاخ الطاقية في الجدران! "حبسوا أنفاسهم، وبدأوا

بالتحرك ببطء وحذر شديدين، كل خطوة محسوبة، كل حركة مدروسة. كان التوتر سيد الموقف.

شعر فاضل بقلبه يقرع في صدره بقوة، وخشي أن يكون صوت دقاته كافيًا لتفعيل الفخ. في منتصف القاعة، تعثر نادر بحجر صغير، وأحدث صوت احتكاك خفيف. في الحال، انطلقت ومضات طاقة زرقاء من الجدران، كادت تصيبهم لولا أن مالك شكل درعًا ظلّيًا سريعًا امتص الضربة بصعوبة، وترك أثرًا محترقًا على الدرع. "أسرعوا!" همس مالك.

عبروا ما تبقى من القاعة وهم يكادون لا يتنفسون، حتى وصلوا أخيرًا إلى الممر المقابل، وأطلقوا زفرة ارتياح جماعية.

لم يكد الخطر الأول يزول حتى ظهر الثاني. دخلوا ممرًا طويلًا كانت جدرانه تتراقص عليها ظلال متحركة، تتشكل وتتغير باستمرار. بعضها كان يبدو كأشكال بشرية أو حيوانية، وبعضها كان مجرد كتل سوداء تتحرك بسرعة. "احذروا هذه الظلال،" قال مالك. "بعضها مجرد أوهام، لكن بعضها الآخر حقيقي، كائنات ظلّية صغيرة تتغذى على الخوف، وقد تهاجم.

كانت الظلال مربكة ومخيفة. حاول فاضل التركيز، متذكرًا آيات القرآن، محاولاً التمييز بين الوهم والحقيقة. فجأة، انقض ظل أسود حاد المخالب من الجدار نحو فاضل. صرخ نادر محذرًا، لكن قبل أن يتمكن مالك من التدخل، رفع فاضل يده بشكل غريزي وهو يتمتم بـ "بسم الله الرحمن الرحيم". حدث شيء غريب. الظل المهاجم تردد للحظة، كأن الكلمات لامست جوهره وأربكته، ثم تراجع واختفى في الجدار مرة أخرى. نظر نادر ومالك إلى فاضل بدهشة. "ماذا فعلت؟" سأل نادر.

"لا أعلم... فقط... قرأت القرآن." أجاب فاضل، وهو نفسه متفاجئ.

ابتسم مالك ابتسامة ظلّية. "النور البشري... الإيمان... له قوة هنا لا تدركونها بعد يا فاضل. يبدو أن وجودك معنا له أهمية أكبر مما ظننا."

زاد هذا الموقف من ثقة فاضل بنفسه، وشعر بأن له دورًا حقيقيًا في هذه المهمة المستحيلة. أكملوا طريقهم بحذر أكبر، متجاوزين الظلال المتبقية، حتى وصلوا إلى نهاية الممر. وفجأه، سمعوا أصوات خطوات ثقيلة قادمة من ممر جانبي. ظهر أمامهم ثلاثة كائنات ظلّية ضخمة، تختلف عن مالك والملك. كانت أجسادهم أكثر كثافة، وعيونهم تتوهج بضوء أحمر حاقد، ويحملون أسلحة تشبه الرماح مصنوعة من طاقة متجمدة.

أتباع ناركيل! همس مالك.

لقد وجدونا! استعدوا!

لم يكن هناك وقت للكلام. اندفع الظلّيون المهاجمون نحوهم. تصدى لهم مالك، مشكلاً درعًا وسيفًا من الظلال، بينما حاول نادر استخدام بعض الرموز التي تعلمها لإبطائهم.

كانت المعركة سريعة وعنيفة. أتباع ناركيل كانوا أقوياء وقساة، يقاتلون بوحشية. تمكن مالك من صد هجماتهم ببراعة، لكن كان واضحًا أنهم يفوقونهم عددًا وقوة.

أصيب نادر بضربة طاقية طرحته أرضًا. صرخ فاضل وركض نحو صديقه، وبينما كان أحد الظلّيين على وشك توجيه ضربة قاضية لنادر، تدخل مالك وتلقى الضربة بنفسه. صرخ مالك من الألم، وتراجع للخلف، وكان درعه الظلّي يتشقق. اهربوا! صرخ مالك. عليكم

الوصول إلى المخطوطة! سأشغلهم! تردد فاضل، لم يرد ترك مالك، لكن نادر، الذي استعاد وعيه بصعوبة، أمسك بذراعه وسحبه. "علينا أن نذهب يا فاضل! هذه فرصتنا!

ركضا بأقصى سرعة في الممر

الذي أشـار إليه مالك قبل أن يواجه الأعداء، تاركين خلفهم أصـوات القتال العنيف. كان قلب فاضـل يعتصـره الألم على مالك، لكنه عرف أن عليه إكمال المهمة. بعد ركض طويل في ممرات متعرجة، وصلا أخيرًا إلى باب ضخم مزخرف بنقوش معقدة ومتوهجة. كان الباب مغلقًا بإحكام.

يجب أن تكون هنا، قال نادر وهو يلهث، ويتفحص النقوش. هذه هي الرموز التي وصـفها مالك... رموز الحماية الأخيرة للمخطوطة الأولى.

لم يكن الباب عاديًا، بل كان يشـع بطاقة قوية. حاول نادر لمسـه، فتراجع بسـرعة وكأنما لسعته كهرباء. لا أستطيع... الطاقة قوية جدًا... إنها تتصدى لي.

نظر فاضـل إلى الباب، وشـعر بشـيء غريب يجذبه نحوه. تذكر كلمات مالك عن النور البشري والحاجة إلى نية صافية. تقدم ببطء، ومد يده المرتجفة نحو الباب. على عكس نادر، لم يشعر بأي مقاومة، بل شعر بدفء غريب يسري في يده، وكأن الباب يرحب به. بدأت النقوش على الباب تتوهج بشـكل أقوى، وتغيرت ألوانها. ظهرت في وسـط الباب صـورة باهتة لرجل عجوز ذي لحية بيضاء، يشبه الوصف الذي سمعه عن رُهيم.

ثم سمع فاضل صوتًا هادئًا في عقله، ليس صوتًا مسموعًا، بل فكرة واضحة: من يسعى للنور بقلبٍ خالٍ من الظلمة، فليعبر.

أخذ فاضل نفسًا عميقًا، ودفع الباب. انفتح الباب ببطء وبدون صوت، كاشفًا عن غرفة دائرية صغيرة، يتوسطها عمود من الضوء الأبيض الناصع.

وفي قلب ذلك العمود، كانت تطفو بلورة صغيرة، تشع بطاقة هائلة ونقية، تتغير ألوانها باستمرار.

المخطوطة! همس نادر بدهشة وإعجاب. تقدم فاضل نحو البلورة بحذر.

كلما اقترب، زاد الشعور بالسلام والنقاء الذي يشع منها. مد يده نحوها، وما إن لامست أصابعه سطحها الأملس حتى غمرته موجة من الصور والمعلومات. رأى لمحات من حياة رُهيم، وشاهد معاناة الظلّيين الطيبين، وشعر بألم سيرين وخوفها، وأدرك جزءًا من أهمية هذه المخطوطات في إعادة التوازن.

لم تكن مجرد معلومات، بل كانت تجربة حية، كأن جزءًا من وعي رُهيم قد انتقل إليه.

أمسك فاضل بالبلورة، فشعر بطاقة دافئة تسري في جسده، واختفى عمود الضوء، وأصبحت البلورة مجرد حجر كريم صغير ولكنه ينبض بالحياة في يده.

لقد فعلتها يا فاضل! صرخ نادر بفرح.

لقد حصلنا عليها! لكن فرحتهم لم تدم طويلاً.

في تلك اللحظة، سمعوا دوي انفجار قوي قادم من الممر الذي أتوا منه، واهتزت الأرض بعنف. ثم سمعوا صوتًا باردًا وقاسيًا يتردد في الممرات، صوتًا يبعث الرعب في القلوب:

لقد تأخرتم أيها البشـر... المخطوطة الأولى لي الآن! نظر فاضـل ونادر إلى بعضـهما البعض بخوف، وأدركا أن الخطر الحقيقي قد وصـــل للتو. لم يكن لديهم مكان يهربون إليه، والعدو يقف الآن على أعتاب الغرفة التي وجدوا فيها أملهم الأول.

الفصل الرابع

لم يكن الصـــوت الذي اخترق صـــمت غرفة المخطوطة مجرد صـــدى في الممرات، بل كان حضـورًا طاغيًا، ثقيلاً، يضـغط على الهواء ويكثّف الظلال. تجمد فاضـل ونادر في مكانهما، البلورة النابضة بالحياة في يد فاضل تبدو فجأة كجمرة خطيرة بدلًا من كونها أملًا.

من عتمة المدخل، تشـــكّل كيان ظلّي أكثر قتامة من أي شـــيء رأوه من قبل. لم يكن مجرد ظل، بل كان تجسـيدًا للظلام نفسـه، له قوام شـبه صـلب، وعينان حمراوان كالجمر المتقد، تنضحان بحقد بارد وذكاء ماكر.

كان يرتدي ما يشبه الدرع المصنوع من ظلال متجمدة، وهالة من الطاقة السوداء تتراقص حوله كألسنة لهب باردة.

لقد تأخرتم أيها البشـر... كرر الصـوت البارد، الذي بدا وكأنه يخرج من الكيان نفسـه دون حركة شفاه. الصـدى كان واضـحًا... صـدى أول الأختام حين يلامسـه نور بشـري سـاذج. هل ظننتم حقًا أن كنزًا كهذا يمكن أن يُوقَظ دون أن يُســـمع دويّه في أرجاء هذه الأنقاض الملعونة؟ لقد كشفتم أنفسكم!

تقدم الكيان خطوة إلى داخل الغرفة، وتراجعت الظلال أمامه كأنها تخشـاه. أنا زارثوس، اليد اليمنى لسـيدي ناركيل. والآن... سـلمني الختم، أيها البشـري، وربما... أقول ربما... أسمح لكما بموت مريح.

شـعر فاضـل بالخوف يتصـاعد في حلقه، لكن رؤيته لنادر الذي اسـتجمع شـجاعته بجانبه، والشعور الغريب بالارتباط بالبلورة في يده، أعطاه دفعة غير متوقعة.

أمسك البلورة بقوة أكبر.

لن تحصل عليها!

صـــرخ نادر، وتقدم خطوة، رافعًا يده بســـرعة. تذكر كلمات مالك الخاطفة في الممرات المظلمة، تحذيرات وتوجيهات ســـريعة لم يفهم أهميتها إلا الآن. مالك أخبرني أن أمثالك يتغذون على الخوف، لكنهم يكرهون النور والنظام! رسـم نادر بسـرعة رمزًا معقدًا في الهواء بأصابعه. توهج الرمز بضوء فضي باهت للحظة، ثم انطلق نحو زارثوس كدرع طاقة صغير.

ضـحك زارثوس ضـحكة جافة، مجرد حشـرجة باردة. لوّح بيده بلامبالاة، فتلاشـى الدرع الفضـي كأنه لم يكن. رموز واهية! هل تظن أن حيل الأطفال هذه سـتوقفني؟ مالك علمك جيدًا كيف تموت بسـرعة! اندفع زارثوس نحو نادر بسـرعة تفوق الوصـف، يده الظلّية تمتد كالمخالب. لكن قبل أن يصـل إليه، وقف فاضـل أمامه، رافعًا البلورة كدرع غريزي، وصـرخ بأعلى صـــوته بآية الكرســـي التي انطلقت من قلبه قبل لســـانه: "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ..."حدث ما لم يتوقعه أحد. لم يكن مجرد تردد كما حدث مع الظلال الصغيرة. صرخ زارثوس صرخة حادة، مليئة بالألم والغضب، وتراجع خطوات للوراء كأنما لسعه لهب حقيقي. الدخان الأسـود بدأ يتصـاعد من ذراعه التي كادت تلامس فاضـل، وجزء من شـكله الظلّي بدا وكأنه يتآكل ويتشتت. "نور... بشري...!" هسهس زارثوس، وعيناه الحمراوان تقدحان شـررًا. هذا الألم... هذه القوة...! كيف؟!. نظر إلى البلورة في يد فاضـل بحقد وجشـع أكبر. إذن الختم يسـتجيب لك... هذا يجعلك أثمن... وأخطر! قبل أن يتمكن فاضـل أو نادر من الرد، انقض زارثوس مرة أخرى، متجاهلاً الألم، وهدفه هذه المرة البلورة مباشـــرة. مد يده الظلّية بسرعة البرق ليخطفها من يد فاضل.

لكن في اللحظة التي كادت أصـابعه تلامس البلورة، حدث شـيء مذهل. توهجت البلورة بضوء أبيض ناصع، أقوى من أي وقت مضى، وأطلقت موجة طاقة نقية ودافئة لكنها قوية بشكل لا يصدق. ارتطمت الموجة بزارثوس مباشرة، فألقته بعنف إلى الوراء ليصطدم بالجدار المقابل بقوة، محدثًا صـوت ارتطام مكتوم. انهار زارثوس على الأرض، يتلوى، وجزء كبير من درعه الظلّي قد تحطم. الختم... يدافع عن نفسه... ضد الظلام! تمتم نادر بدهشة، مدركًا الآن أن الأمر ليس مجرد فتح الباب، بل إن البلورة نفسها كيان له إرادة وقوة.

وفي خضـم الفوضـى، وبينما كان زارثوس يحاول النهوض بصـعوبة، ظهر مالك عند المدخل، يبدو منهكًا وجرح ظلّي ينزف طاقة داكنة من كتفه، لكن عينيه ثابتتان وحازمتان. لم يكن مهزومًا كما ظنوا. "لقد تأخرت قليلًا يا زارثوس،" قال مالك بصوت هادئ ولكنه يحمل وزنًا ثقيلاً. نظر إلى فاضل ونادر بسرعة. "لم أُهزم، بل كنت أشتري لكم الوقت وأضلله! زارثوس يعتمد على القوة الغاشمة، لكنه يفتقر للصـــبر. لم يكن لينشـــغل بي طويلاً لو لم أتظاهر بالضـــعف الشـــديد! "نهض زارثوس ببطء، والغضـــب يغلي في هيئته الظلّية. مالك الخائن! ستدفع ثمن هذا! ربما، رد مالك بهدوء. لكن ليس اليوم.

ثم صرخ نحو فاضل: البلورة! وجه ضوءها نحو النقش الأيسر على الجدار الخلفي! بسرعة! إنه مخرج طوارئ صـنعه الحكماء! فهم فاضـل الإشـارة. رفع البلورة المتوهجة ووجهها نحو النقش الذي أشـــار إليه مالك. تفاعل النقش مع الضـــوء، وبدأ جزء من الجدار يتراجع للداخل ببطء، كاشفًا عن ممر ضيق ومظلم.

اذهبا الآن! صرخ مالك وهو يندفع لمواجهة زارثوس الذي كان يستعد لهجوم جديد.

اشـــتبك الاثنان في قتال عنيف، طاقة الظلام تتصـــادم مع تكتيكات مالك الدفاعية والهجومية التي بدت أكثر تركيزًا وفعالية الآن، مستغلاً معرفته بالمكان الضيق لصالحه.

لم يتردد فاضل ونادر هذه المرة.

اندفعا نحو الممر السري بينما أصوات القتال العنيف تتردد خلفهما.

أغلق الجدار خلفهما ببطء، وعادت العتمة لتطبق عليهما. مالك... هل سيكون بخير؟ سأل فاضل وهو يلهث، قلبه يعتصره القلق على الظلّي الطيب.

لا أعلم يا فاضـل، أجاب نادر بصـوت متوتر وهو يتقدم في الممر المظلم، مسـتعينًا بضـوء بلورة صغيرة أعطاها له الملك سابقًا.

لكن مالك مقاتل حكيم، يعرف كيف ينجو.

لقد أخبرني بالكثير في طريقنا إلى هنا... عن الكتب، وعن طبيعة هذا العالم... كان يعلم أننا قد ننفصـل. أضـاف بسـرعة وهو يتلمس طريقه، الكتاب الذي وجدته أنت في مكتبة الأثر هو دليل رُهيم، خريطة روحية للعالم الآخر... أما الكتاب الذي وجدته أنا، فكان أشـــبه بمفتاح استجاب لطاقتي، هو ما أرشدني للبوابة أول مرة عبر مسار ظلّي مختصر، لهذا وصلت قريتك بسرعة.

إنهما مرتبطان، كلاهما جزء من لغز أكبر.

أضـاءت هذه الكلمات بعض الغموض في ذهن فاضـل، لكن الأسـئلة الكبرى ظلت قائمة. استمروا في السير في الممر الضيق المتعرج، الذي بدا وكأنه ينحدر للأسفل باستمرار.

بعد فترة بدت كدهر، بدأوا يسمعون صوت خرير مياه خافت، وشعروا برطوبة باردة في الهواء.

انتهى الممر فجأة عند فتحة تطل على كهف واسع ومظلم، تتوسطه بحيرة جوفية هادئة تتلألأ مياهها بضوء فسفوري خافت قادم من بلورات صغيرة تنمو على جدران الكهف. كانت هناك نباتات غريبة تتوهج بألوان زرقاء وخضراء حول حافة البحيرة، وجذور أشجار بلورية عملاقة تتدلى من السقف العالي للكهف.

خرجا من الممر إلى شاطئ البحيرة الرملي الناعم.

المكان كان هادئًا بشكل مخيف، وجميلًا بطريقة غريبة وغير أرضية.

لم يكن هناك أثر للمدينة الضالة أو الأنقاض التي ألفوها.

أين نحن؟ سأل فاضل، وهو ينظر حوله بدهشة وحذر.

نظر نادر حوله، ثم تفحص البلورة الصغيرة في يده. لا أعلم... هذا المكان غير موجود على الخريطة التقريبية. يبدو أن الممر السري قادنا إلى جزء أعمق وغير مكتشف من هذا العالم.

في تلك اللحظة، توهجت البلورة (المخطوطة الأولى) في يد فاضل بشكل خافت، وشعر بإحساس غامض، كبوصلة داخلية تشير إلى اتجاه معين عبر الكهف الواسع. لم تكن رؤية واضحة، مجرد شعور... إحساس بوجود شيء آخر... ربما الختم التالي...

على الأقل نجونا، ومعنا الختم الأول، قال نادر، محاولاً بث بعض التفاؤل.

لكننا الآن وحدنا، ومطاردون، وفي مكان مجهول.

نظر فاضل إلى البلورة في يده، ثم إلى الظلام المترامي الأطراف أمامهما عبر الكهف.

المهمة لم تنتهِ، بل بدأت للتو، وأصـــبحت أكثر خطورة وحدة من أي وقت مضـــى. تذكر وجه مالك القلق، وصرخة زارثوس الحاقدة، وشعر بثقل العالم الآخر يستقر على كتفيه.

الفصل الخامس

الصمت الذي استقبل فاضل ونادر عند خروجهما من الممر السري كان أعمق وأكثر رهبة من صمت المكتبة السفلى.

كان صمتًا حيًا، مشبعًا بأصداء أزمنة سحيقة وهمسات مياه جوفية تتردد في الأرجاء.

وقفا على شاطئ رملي ناعم، يلامس حافة بحيرة واسعة تتلألأ مياهها بضوء فسفوري ذاتي، كأن نجومًا سقطت واستقرت في قاعها.

في هذا السكون المهيب، كان لابد من خطوة تالية.

بسط فاضل الخريطة الباهتة على الرمال، وبدافع من حدس مفاجئ، وضع البلورة في مركزها. على الفور، استجابت الخريطة. انبعث من البلورة نور أبيض رسم خطوطًا مضيئة على الورق، تملأ الفراغات وتكشف عن تضاريس جديدة.

التقط نادر الخريطة التي أصبحت تنبض بالحياة، وقال بلهفة مكتومة: لقد اكتملت! ونحن الان في قلب 'أُولِدْ'، تحت المعبد الرئيسي للمدينة.

عندما عاد الهدوء للبلورة، وضعها فاضل في جيبه، وشعر بثقلها المعنوي أكثر من وزنها المادي. قال وهو يشير إلى كهف مظلم: الختم يرشدني إلى هناك. إنه طريقنا الوحيد.

لم يستطع نادر إخفاء دهشته من ثقة صديقه الجديدة. قال مازحًا ليخفي قلقه: منذ متى أصبحت أنت المستكشف الجريء؟

رد فاضل بهدوء: منذ أن أصبح الخوف ترفًا لا نملكه.

هز نادر رأسه موافقًا على المنطق القاسي لكلمات فاضل.

لحظة يا 'كولومبوس'! قال نادر وهو يوقفه بيده. لنتزود من زاد الظليين الذي أخذناه معنا أولًا، فلا نعلم متى سنأكل مرة أخرى.

بعد أن أعاد لهما الزاد السحري قوتهما، وقفا معًا، واتجها نحو الكهف، كنقطتين صغيرتين على وشك أن تبتلعهما عظمة المجهول.

بدأ فاضل بقراءة آيات من القرآن ومناجاة ربه يطلب منه المساعدة، ثم أخرج البلورة الأولى ورفعها.

ظهرت استجابة ضوئها الأبيض النقي للمكان، فبدأت بلورات صغيرة مرصعة في جدران الكهف الشاهقة وسقفه البعيد بالتوهج بألوان زرقاء وخضراء وبنفسجية باهتة.

كشف هذا التفاعل الضوئي عن مشهد مذهل: كهف عملاق ذو أبعاد هائلة، تتخلله تكوينات صخرية غريبة تشبه المنحوتات الطبيعية، وتتدلى من سقفه جذور أشجار بلورية عملاقة تلمع كالثريات.

نقوش قديمة، تختلف عن تلك التي رأوها في المدينة الضالة، غطت بعض الجدران القريبة، تحكي قصصًا صامتة بلغة منسية.

"سبحان الله..." تمتم فاضل بدهشة، وهو يتأمل عظمة المكان وجماله الغريب.

أي عالم هذا؟

لا أعلم، أجاب نادر وهو يتفحص المكان بعينين حذرتين.

لكنه بالتأكيد ليس جزءًا من الخرائط التي أعطانا إياها الملك.

يبدو أن الممر قادنا إلى أعماق مجهولة.

تفحص البلورة الصغيرة التي لا تزال في يده، والتي كانت تنبض بضوء خافت. على الأقل نجونا... ومعنا الختم الأول.

شعر فاضل بالإحساس الغامض الذي تبعثه البلورة في يده، تلك البوصلة الداخلية التي تشير بثبات نحو اتجاه معين عبر الكهف الواسع.

علينا أن نواصل السير، يا نادر.

الختم يرشدني... بطريقة ما.

اختارا ممرًا بدا أكثر وضوحًا بفضل تفاعل ضوء البلورة مع الأحجار الكريمة على مدخله، وبدأ بالتقدم بحذر.

الهواء كان رطبًا وباردًا، ورائحة تراب قديم وعفن خفيف تملأ المكان.

لم يسيرا طويلاً حتى لاحظ نادر أن الأرضية تحت أقدامهما تبدو هشة وغير مستقرة.

أشار لفاضل بالتوقف، وانحنى ليتحسس الأرض.

انتبه يا فاضل، الأرض هنا... قبل أن يكمل جملته، سمعا صوت تشقق حاد، وبدأت الأرض تحت قدمي فاضل بالانهيار! صرخ نادر محاولاً الإمساك به، لكن الأوان كان قد فات.

هوى فاضل نحو فجوة مظلمة انفتحت تحته فجأة.

لكن قبل أن يبتلعه الظلام تمامًا، اندفع شكل ظلّي سريع من أحد الشقوق الجانبية، وتحرك بسرعة البرق.

لم يكن عدوانيًا، بل أمسك بفاضل من ذراعه بقوة، وسحبه للأعلى في اللحظة الأخيرة قبل أن تنهار حافة الفجوة بالكامل.

سقط فاضل على الأرض الصلبة بجوار نادر، يلهث من الصدمة والخوف، بينما وقف الشكل الظلّي أمامهما بصمت.

تعرف عليه فاضل على الفور.

كان هو نفسه الظلّي الذي تردد وتراجع عندما قرأ عليه القرآن في ممرات المكتبة السفلى.

لم يكن ضخمًا أو مرعبًا كزارثوس، بل كان أقرب في هيئته لمالك، لكنه أكثر بساطة، وكأنه ظل عادي اكتسب وعيًا خاصًا.أنت... تمتم فاضل بدهشة وامتنان.

لقد أنقذتني! لم يرد الظلّي، بل أشار فقط نحو الفجوة، ثم نحو ممر آخر أكثر أمانًا.

بدا وكأنه يفهم الخطر، وينجذب نحو فاضل، ربما بسبب "النور البشري" أو بسبب البلورة التي لا تزال تتوهج في يده. هل... هل ستساعدنا؟ سأل نادر بتردد.

أومأ الظلّي برأسه إيماءة بسيطة، ثم بدأ بالتحرك أمامهما، مشيرًا لهما بالتبعه.

تبادل فاضل ونادر النظرات، ثم قررا المخاطرة واتباع هذا الحليف غير المتوقع.

أطلق عليه فاضل في نفسه اسم "ظِل".

قادهم "ظِل" عبر شـــبكة من الأنفاق والممرات الكهفية، متجنبًا ببراعة مناطق بدت خطرة، مثل برك طين لزج تنبعث منها فقاعات غاز، أو غابات صغيرة من الفطريات البلورية السامة التي تتوهج بضوء تحذيري.

كان يتحرك بصمت ورشاقة، يتوقف أحيانًا ليشير إلى نقوش على الجدران أو علامات غريبة لم يفهمها فاضل ونادر.

لاحظا تدريجيًا أن الكهف ليس مجرد تكوين طبيعي.

بدأت تظهر علامات واضحة على وجود حياة منظمة: درجات حجرية منحوتة بعناية تقود للأعلى، بقايا مواقد نار باردة تحتوي على رماد غريب، وأدوات حجرية وعظمية ملقاة هنا وهناك.

بدت الرموز على الجدران أكثر تكرارًا وانتظامًا، وإن كانت لا تزال غير مفهومة. يبدو أن هناك من يعيش هنا... أو عاش هنا، همس نادر وهو يتفحص رمزًا يشبه عينًا مفتوحة محاطة بدائرة.

فجأة، توقف "ظِل" وتصلب في مكانه، مشيرًا بقلق شديد نحو الخلف.

التفت فاضل ونادر، وسرعان ما سمعا ما أثار قلق حليفهم: أصوات خشنة وهمهمات غير مفهومة تتردد في الممرات التي أتوا منها، وتقترب بسرعة.

ليسوا مثل أتباع ناركيل... قال نادر بصوت خافت وهو يستعد لأي شيء.

هؤلاء يبدون... أكثر وحشية. ظهرت من الظلام مجموعة من خمسة أو ستة كائنات ظلّية، لكنها كانت مختلفة تمامًا.

أجسادهم كانت مشوهة وغير متناسقة، بعضهم بأطراف أطول من اللازم، وبعضهم بوجوه شبه حيوانية.

عيونهم كانت بيضاء فارغة، ويتحركون بحركات متشنجة وغير منتظمة، كأنهم مجرد غرائز مفترسة.

انجذبوا نحو ضوء البلورة في يد فاضل كالفراشات نحو اللهب، لكن بنوايا أكثر شراسة."ظلّيون تائهون!" همس نادر متذكرًا تحذيرات مالك. فقدوا عقولهم في الصراع أو بسبب طاقة المكان المشوهة! لم يكن هناك وقت للتفكير.

اندفع الظلّيون التائهون نحوهم بهممات وحشية.

صرخ "ظِل" صرخة ظلّية حادة، وانقض على أقربهم، مقاتلاً بشراسة لحماية فاضل.

علينا الهرب! صرخ نادر، وسحب فاضل معه.

لا يمكننا مواجهتهم جميعًا! بدأت مطاردة محمومة عبر الأنفاق المظلمة.

كان الظلّيون التائهون سريعين وعنيدين.

استخدم نادر معرفته بالرموز، فرسم بسرعة رمزًا على الجدار تسبب في وميض ضوئي قوي أعمى المطاردين مؤقتًا.

استخدم فاضل البلورة لإضاءة ممر جانبي ضيق، فاندفعوا إليه بينما كان "ظِل" يعيق تقدم التائهين خلفهم.

قادتهم المطاردة إلى ممر صاعد، انتهى بهم فجأة في كهف أوسع ومختلف تمامًا.

لم يكن مظلمًا كباقي الكهف، بل كان مضاءً بضوء دافئ قادم من بلورات صفراء وبرتقالية كبيرة تنمو كالأشجار.

كانت هناك مبانٍ بدائية تشبه الأكواخ، مبنية من حجارة مصقولة وطين بلوري متوهج، وجسور حجرية تربط بين مستويات مختلفة من الكهف.

رائحة دخان خفيفة ونظيفة كانت تملأ الهواء.

توقف الظلّيون التائهون عند مدخل هذا الكهف، وبدا عليهم التردد والخوف، ثم تراجعوا واختفوا في الظلام الذي أتوا منه، كأنهم لا يجرؤون على دخول هذه المنطقة.

لم يكد فاضل ونادر يلتقطان أنفاسهما، حتى وجدا نفسيهما محاطين.

ظهر من مداخل الأكواخ ومن خلف التكوينات الصخرية عشرات من الكائنات الظلّية، لكنهم كانوا مختلفين مرة أخرى.

كانوا أكثر شحوبًا من ظلّيي الملك، وعيونهم كبيرة ومتكيفة مع الظلام، ويرتدون ملابس بسيطة مصنوعة من جلود غريبة وألياف نباتات متوهجة.

كانوا يحملون رماحًا وفؤوسًا مصنوعة من عظام مصقولة وبلورات حادة، وينظرون إليهم بصمت وريبة شديدة.

وقف "ظِل" أمام فاضل ونادر بوضع دفاعي، لكنه بدا متوترًا أيضًا أمام هؤلاء السكان.

تقدم من بين السكان ظلّي أكبر سنًا، يبدو أنه زعيمهم أو كاهنهم.

كان يرتدي قلادة مصنوعة من أسنان وحشية وبلورة سوداء كبيرة تتوسط صدره، تشع منها هالة خافتة من ضوء أزرق داكن.

وفوق رأسه استقر تاج مهيب مصنوع من معدن أسود غير مألوف، يعلوه قرنان ملتويان كقرني ثور بري، منحوتان بدقة وتنتهيان بطرفين حادين يلمعان في ضوء البلورات المحيطة.

تقدم نحوهما بخطوات واثقة وصدر مفتوح، تتمايل عباءته الطويلة المصنوعة من نسيج غريب يشبه الظلال المتحركة.

كانت ملامحه أكثر حدة ووضوحًا من باقي الظلّيين، وعيناه عميقتان وداكنتان تحملان حكمة قرون من العمر، تتأملان فاضل ونادر بفضول ممزوج بحذر.

يرافقه ظلّيان غليظان ضخمان، يفوقانه طولًا وعرضًا، يقفان كالحراس الأوفياء واحد عن يمينه والآخر عن يساره.

كانت عيونهما مخيفة، تتوهج بلون أحمر خافت، لكنها تحمل وعيًا وذكاءً يميزهما عن أتباع ناركيل المتوحشين.

يرتديان دروعًا مشابهة لدرع زارثوس، لكنها أكثر بدائية، مصنوعة من صفائح معدنية سوداء متداخلة ومزينة برموز غامضة محفورة بعناية.

يحمل الحارس الأيمن مطرقة هائلة ذات رأس مربع، مزينة بنقوش متوهجة تبدو كأنها تنبض بالحياة.

أما الحارس الأيسر فيمسك بفأس عملاق ذي نصلين، مصنوع من معدن أسود يعكس ضوء البلورات المحيطة بألوان قزحية.

كلاهما ينظران إلى فاضل ونادر بنظرات متفحصة، كأنهما يقيّمان مدى خطورتهما أو... جدارتهما.

نظر الزعيم إلى فاضل ونادر، ثم إلى "ظِل" بازدراء، وأخيرًا استقرت عيناه الكبيرتان الداكنتان على البلورة المتوهجة في يد فاضل.

ساد صمت متوتر، ثم تحدث الزعيم بلغة ظلّية قديمة، بدت كلماتها كهمسات الريح بين الصخور.

فهم نادر بعض الكلمات المتفرقة: غرباء... نور... ختم... طريق... نار... رماد... اختبار...رفع الزعيم يده العظمية، وأشار بإصبعه الطويل نحو البلورة في يد فاضل، ثم أشار إلى ممر مظلم في الجانب الآخر من الكهف، ممر بدا مختلفًا، تنبعث منه حرارة محسوسة وضباب خفيف يتراقص عند مدخله.

نطق الزعيم بكلمة واحدة، تردد صداها في الكهف الهادئ، كلمة فهمها نادر بوضوح هذه المرة، وجعلت الدماء تتجمد في عروقه:"مَحْرَقَة!"نظر فاضل إلى نادر، ورأى الرعب في عينيه.

لم يعرفا ما تعنيه الكلمة بالضبط، لكنهما أدركا أنهما خرجا من خطر ليقعا في قلب لغز أعمق وأكثر قتامة، وأن طريقهما نحو المخطوطة الثانية قد يكون حرفيًا ومميتًا.

الفصل السادس

تقدم مرافقا الزعيم ووقف أحدهم أمام فاضل ونادر والآخر خلفهم، يشيران لهم بالسير باتجاه القاعة التي أشار إليها زعيمهم.

وما أن تقدموا قليلاً، ومروا أمام الممر المظلم، حتى بدأوا يشعرون بحرارة تتقدم نحوهم، بل بدأت نفحات من كتل ساخنة تتدفق عليهم وكأنها تتفحصهم. شعر فاضل بالخوف مجدداً رغم الشجاعة التي كانت تتمالكه، إلا أن هذا الخوف كان كبيراً هذه المرة، خاصة مع نفحات الهواء الساخن التي تلفحهم.

ولما وصلوا إلى القاعة، نظر إليهما الزعيم، الذي عرفا لاحقاً أن اسمه "أرغوس"، بعينين عميقتين داكنتين، وقال بصوت عميق: "محرقة!" بدأت أنفاس فاضل بالتسارع ودقات قلبه كانت كطبول معركة عندما سمع الزعيم يكرر كلمة محرقة.

أما نادر فبدا واثقاً من نفسه هذه المرة وكأنه علم إلى أين سيذهبون، وما لبث أن طمأن فاضل بقوله: "المحرقة التي تكلم عنها الزعيم في ثقافات الظلّيين القدماء ليست مكاناً للعقاب، بل هي طقس اختبار قديم يُستخدم لتحديد من هو جدير بحمل الأختام."

بدأ أرغوس يتحدث بلغة الظلّيين القديمة، ونادر يترجم، يركز بكل حواسه، محاولاً التقاط كل كلمة، كل إشارة، كل تغيير في نبرة صوت الزعيم المهيب: "يقول إن قبيلتهم، أبناء الظل الأول، هم حراس الختم الثاني، منذ فجر الزمان.

وقد عاشوا هنا في عزلة تامة لحمايته من الأيدي الخطأ، من أولئك الذين يسعون للقوة المطلقة والدمار.

واصل أرغوس حديثه، وأوضح نادر أن "ظِل"، حليفهم الصامت، كان في الأصل واحداً من هذه القبيلة، بل من سلالة نبيلة فيها.

لكنه انفصل عنها منذ زمن بعيد، بعد حادثة مأساوية غيرت حياته، وجعلته منبوذاً وهائماً في الظلام، يبحث عن معنى لوجوده.

وأن هناك انقساماً عميقاً بين سكان الكهف حول مصير الأختام.

البعض يؤمنون بضرورة إبقائها مخفية إلى الأبد، بينما يرى آخرون، ومنهم أرغوس، أن النبوءة يجب أن تأخذ مجراها.

ثم شرح أرغوس طقس المحرقة: ممر ناري يتضمن مواجهة مع أعمق المخاوف والرغبات، وأن البلورة الأولى ستحميهم من الحرارة الجسدية، لكنها لن تحميهم من نار الحقيقة.

هل هناك خيار آخر؟ سأل فاضل بصوت متهدج.يبدو أن هذا هو قدرنا المحتوم، يا صديقي، قال نادر بمرارة.

إما أن نواجه النار، أو نبقى سجناء هذا الكهف إلى الأبد.

أثناء الحديث، جالت عين فاضل بين الظلّيين المجتمعين.

شعر فجأة بوخزة حنين حادة، تذكر قريته وأهله الذين تركهم خلفه.

تدافعت ذكريات أمه وأبيه إلى عقله، عيناهما اللتان تحملان حنان الدنيا وقلقهما عليه.

هل سيراهم مرة أخرى؟ هل ستنتهي هذه الرحلة المجهولة بسلام، أم أن قدره قد كتب له نهاية أخرى في هذا العالم الغريب؟

مُنح فاضل ونادر كوخاً للراحة.

استغل نادر الوقت في دراسة بعض الرموز القديمة المنقوشة على الجدران، بينما جلس فاضل يتأمل.

لقد تغير كثيراً منذ بداية هذه الرحلة.

الخوف الذي كان يسيطر عليه بدأ يتلاشى، ليحل محله إيمان عميق بقضاء الله وقدره، وشجاعة لم يكن يعلم يوماً أنه يمتلكها.

لقد واجه الموت، ورأى عوالم غريبة، وقابل مخلوقات لا يمكن تصورها.

كل هذا صقل روحه، وجعله أقوى.

في تلك الليلة، وبينما كان فاضل يتقلب في فراشه المصنوع من أوراق نباتات غريبة، قلقاً ومهموماً، غلبه النعاس للحظات قليلة، لكنها كانت كافية ليغوص في حلم عميق، حلم بدا أكثر واقعية من اليقظة نفسها.

وجد نفسه يقف في مكان غريب، مكان ليس من هذا العالم ولا من عالمه.

كانت أرضه من ضباب فضي متلألئ، وسماؤه من نجوم متراقصة بألوان قوس قزح.

وفي وسط هذا المكان الحالم، سمع صوت سيرين واضحاً كأنه همس النجوم، صوت يحمل حنان الأم وقوة الجبال: "يا فاضل، لا تخف من النار.

النار لا تحرق إلا ما هو زائف، ما هو هش.

عندما تواجهها، لا تقاومها بعنف، بل اسمع صوتها.

استمع إلى ما تريد أن تكشفه لك عن نفسك.

تذكر، يا فاضل، أن أقوى نار لا يمكنها أن تلمس جوهر الروح النقية.

استيقظ فاضل فجأة، وقلبه يخفق بقوة.

كلمات سيرين كانت حية في ذاكرته كأنها حدثت للتو.

ما الذي تعنيه كلماتها؟ هل كان مجرد حلم ناتج عن قلقه وتوتره، أم رسالة حقيقية من عالم الأرواح، من سيرين نفسها؟

قبل أن يتمكن من تحليل الحلم، شعر بحركة خافتة بجواره.

فتح عينيه ليرى "ظِل" يقف أمامه في الظلام.

أشار "ظِل" إليه بإصبعه الطويل، علامة على الصمت، ثم أشار نحو باب الكوخ.

نهض فاضل بهدوء، وحاول ألا يصدر أي صوت قد يوقظ نادر الذي كان يغط في نوم عميق.

تبعه خارج الكوخ.

قاد "ظِل" فاضل عبر أزقة ضيقة، حتى وصلا إلى كهف صغير مخبأ خلف شلال من المياه.

في ضوء البلورة الخافتة، كشف "ظِل" له عن نقوش قديمة على جدران الكهف، تحكي قصة الختم الثاني بطريقة مختلفة.

لم تكن تتحدث فقط عن المحرقة كاختبار، بل عن حارس أسطوري يحمي الختم، وحش ناري يُدعى "جمرة".

أدرك فاضل أن الزعيم أرغوس، رغم صدقه الظاهري وحكمته، قد أخفى عنهما جزءاً مهماً من الحقيقة، ربما خوفاً عليهما، أو ربما لأسباب أخرى لا يعلمها.

شعر بصراع داخلي: هل يثق بالزعيم، أم يحذر منه؟

في هذه الأثناء، استيقظ نادر ولم يجد فاضل، اعتصر قلبه خوفًا على صديقه وتدفقت في عروقه موجة من الفزع البارد، تتراقص في ذهنه أسوأ السيناريوهات، انتفض وأمسك رأسه بكلتا يديه، محاولًا عبثًا أن يوقف سيل الأفكار المروعة التي اجتاحت عقله، قبل أن يجبر قدميه على التحرك للبحث عنه.

تسلل خارج الكوخ، وبعد فترة من البحث، سمع أصواتاً خافتة من كهف منعزل.

اقترب بحذر، واختبأ خلف صخرة.

ما رآه جعل الدماء تتجمد في عروقه.

كان هناك اجتماع سري يضم عشرة من الظلّيين، يتوسطهم ظلّي قوي البنية، يبدو أنه قائدهم، وجهه يحمل ندوباً قديمة.

كان هذا هو "كَرْب"، زعيم الفصيل المتشدد.

كانوا يتآمرون لقتل فاضل ونادر قبل دخول المحرقة، والاستيلاء على البلورة الأولى.

فجأة، شعر نادر بيد تلمس كتفه.

كاد يصـــرخ من الفزع، لكنه تمالك نفســـه عندما رأى وجهاً مألوفاً: كان مالك، الظلّي الطيب الذي ساعدهم في المدينة الغارقة!

فرح نادر فرحاً شديداً وحمد الله على عودته سالماً،

وبدأ يخبره بما سمع لكن مالك همس: اتبعني بسرعة، نحن في خطر.

عاد نادر مع مالك ليجدا فاضل عائداً هو الآخر مع ظِل.

تبادلوا المعلومات ســريعاً: فاضــل عن الحارس الناري، ونادر عن المؤامرة، ومالك عن كيفية تتبعه لهم عبر أنفاق سرية في الكهوف.

علينا الخروج من هنا فوراً! صرخ نادر بصوت مكتوم.

في تلك اللحظة، بدأت صور ذهنية واضحة تتشكل في عقل فاضل، مرسلة من ظِل.

كان يريهم طريقاً سرياً للهروب، ممراً خلف شلال القرية.

لقد تطورت قدرة ظِل على التواصل بشكل مذهل.

انطلق الأربعة نحو الممر السري، لكن المتآمرين شعروا بحركتهم.

اندلعت معركة في أزقة القرية المظلمة.

كان المتآمرون كُثراً ومسلحين، لكن فاضل ونادر، بمساعدة ظِل ومالك اللذين قاتلا ببسالة، تمكنوا من شق طريقهم.

فاضـــل، بقوة إيمانه، وبتلاوته لآيات من القرآن الكريم، اســـتطاع أن يبث الرعب في قلوب بعض المهاجمين، مما أتاح لرفاقه فرصة للفرار.

عند مشارف القرية، وجدوا الزعيم أرغوس يواجه كَرْب وأتباعه.

في لفتة من التضحية، تصدى الزعيم للمهاجمين، ليمنح فاضل ورفاقه فرصة للهروب.

وقبل أن يسقط جريحاً، رمى بقلادته ذات البلورة السوداء نحو فاضل.

اذهبوا! صرخ أرغوس.

النبوءة يجب أن تتحقق لا تدعوا تضحيتي تذهب سدى! انطلق الأربعة نحو الممر المؤدي إلى المحرقة، تاركين الزعيم الشجاع يواجه مصيره.

كان كَرْب وأتباعه يتعقبونهم، وأصواتهم تقترب.

وصلوا أخيراً إلى مدخل المحرقة.

كان ممراً طويلاً وضيقاً، تتصاعد من جوانبه ألسنة لهب بألوان مختلفة، وأرضيته مغطاة برماد أسود متحرك.

حرارة المكان كانت لا تطاق.

بدأت البلورة الأولى في يد فاضل بالتوهج بقوة، وأصدرت نبضات ضوئية زرقاء.

ثم بدأت البلورة السوداء في القلادة بالتوهج أيضاً، وتناغمت نبضاتها مع البلورة الأولى.

سأدخل وحدي، قال فاضل بحزم.

مستحيل! رد نادر. نحن في هذا معاً.

لن أتركك تواجه هذا الجحيم بمفردك.

نظر فاضل إلى صديقه، ورأى الإصرار الصادق في عينيه. إذن، لتكن مشيئة الله.

لندخل معاً.

التفت إلى مالك وظِل، وقال: ابقيا هنا، واحميا المدخل.

سنعود بإذن الله.

أومأ الاثنان بالموافقة، واستعدا للدفاع عن المدخل ضد المتآمرين القادمين.

دلفا فاضل ونادر إلى المحرقة.

الحرارة كانت تلفحهما من كل جانب، والرماد تحت أقدامهما كان يغوص بهما كأنه رمال متحركة.

بدأت النار تتشـــكل أمام فاضـــل، تأخذ صـــوراً من مخاوفه الدفينة: قريته تحترق، أهله يصرخون.

تذكر فاضل كلمات سيرين في حلمه: لا تقاوم النار... اسمع صوتها.

بدأ يتلو آيات من القرآن الكريم، وشيئاً فشيئاً، بدأت الصور المرعبة تتلاشى، والنار تهدأ.

أما نادر، فكان يواجه أشباح إخفاقاته السابقة.

لكنه تذكر الرموز القديمة التي تعلمها، وبدأ يرسمها في الهواء بيديه، لتتحول إلى دروع لتحميه.

بدأت البلورتان بالتوهج بشكل أقوى، واتحد ضوؤهما ليخلق درعاً واقياً حولهما، يخفف من حدة الحرارة ويحميهما من الرماد المتحرك.

وصلا أخيراً إلى قاعة دائرية واسعة، جدرانها من صخور بركانية سوداء.

وفي وسطها، كان يقف "جمرة": مخلوق ضخم من نار حية وظلال متراقصة، عيناه جمرتان متقدتان، وصوته كقعقعة الرعد.

من يجرؤ على دخول محرقتي واختبار غضبي؟ سأل "جمرة" بصوت مرعب.

نحن هنا من أجل الختم الثاني، قال فاضل بشجاعة.

نحن هنا لنثبت جدارتنا.

بدأ جمرة يطرح عليهما ألغازاً وأسئلة عميقة عن الشجاعة والتضحية والهدف من الحياة.

في أحد الألغاز الصعبة، تذكر فاضل حكمة كانت ترددها سيرين: الخوف ليس وحشاً يسكن في الخارج، بل هو ظل يسكن في الداخل.

لا يمكنك قتله، لكن يمكنك أن تضيئه بنور الإيمان.

استلهم من هذه الكلمات، وأجاب على اللغز بحكمة أدهشت جمرة. ثم جاء دور نادر، الذي واجه أسئلة عن معنى المعرفة ومسؤولية العالم.

أجاب بصدق وتواضع، مستلهماً من التعاليم التي حصل عليها من تجاربه.

أخيراً، انحنى جمرة أمامهما احتراماً.

لقد أثبتما أنكما تستحقان الختم.

قلوبكما نقية، وأرواحكما شجاعة.

الختم الثاني لكما.

من قلب اللهب، ظهرت بلورة حمراء متوهجة، تشبه قلباً نابضاً.

امتدت يد فاضل نحوها، وعندما لمسها، اندمجت مؤقتاً مع البلورة الأولى.

غمرته رؤية خاطفة: أبراج شاهقة تخترق السحب، وشعر بقوة تجذبه نحوها.

ثم انفصلت البلورتان، واستقرت البلورة الحمراء في يد نادر، الذي شعر بقوة دافئة تسري في جسده.

اذهبا الآن، وأكملا مهمتكما، قال "جمرة" وهو يتلاشى. العالم ينتظر.

خرجا من المحرقة، منهكين لكن منتصرين، ليجدا مالك وظِل مصابين بجروح بالغة.

لقد قاتلا بشجاعة ضد كَرْب وأتباعه، ومنعوهم من اللحاق بفاضل ونادر.

استخدم فاضل البلورة الزرقاء، ونادر البلورة الحمراء، ووجها طاقتهما نحو مالك وظِل.بدأت جروحهما تلتئم بسرعة.

ثم، ولأول مرة، تحدث ظل بصوت واضح: شكراً لكما، يا أصدقائي.

نظر فاضل ونادر إليه بدهشة.

لقد اكتسب القدرة على الكلام! لكن لم يكن هناك وقت للاحتفال.

ما... ما اسمك؟ سأل فاضل.

ابتسم ظِل ابتسامة خافتة.

اسمي... اسمي نور. قال ناد باستغراب: نور.

قاطعهم مالك بقوله، أن "كَرْب"، رغم هزيمته، تمكن من إرسال رسالة إلى زارثوس، يخبره فيها عن مكانهم وعن امتلاكهم للختمين.

وأنهم الآن في خطر كبير.

*****

الرؤية التي حصل عليها فاضل كانت واضحة ومحددة: الختم الثالث، موجود في "أبراج الصمت"، مكان بعيد وخطير، يقع فوق سطح الأرض، بين قمم الجبال الشاهقة.

قادهم نور ومالك، اللذان استعادا بعضاً من قوتهما، نحو ممر خفي آخر، أضيق وأكثر انحداراً من الأول، بدأوا يصعدون من خلاله ببطء وصعوبة، تاركين وراءهم عالم الظلال السفلي، عالم الكهوف والمخلوقات الغريبة.

عندما وصلوا أخيراً إلى السطح، بعد رحلة شاقة وطويلة، كانت الشمس قد بدأت بالغروب، تلقي بأشعتها الذهبية الأخيرة على عالم واسع ومختلف تماماً.

نظر فاضـــل إلى الأفق البعيد، ورأى الأبراج الشـــاهقة التي رآها في رؤيته، تخترق الســـحب الكثيفة كأنها أصـــابع عملاقة تشـــير إلى الســـماء، تبدو وكأنها مصـــنوعة من زجاج أســـود أو حجر بركاني غامض.

شعر بحضور سيرين الروحي يحيط به، كأنه نسيم دافئ يلفه بحنان.

ابتســم، ووعد نفســه في صــمت، وعداً نقشــه في أعماق قلبه، بأنه ســيعود إليها، ســيعود إلى قريته، بعد أن يتمم هذه المهمة النبيلة، بعد أن يعيد التوازن إلى هذا العالم المضطرب.

في يديهما، بدأت البلورتان – الزرقاء مع فاضـل، والحمراء مع نادر – بالتوهج بقوة، كأنهما تستجيبان لنداء الأبراج البعيدة، أو كأنهما تشعران بالخطر القادم.

رحلتهما لم تنته بعد، بل ربما... ربما بدأت للتو.

الفصل السابع

كان الخروج من الممر الضيق المنحدر بمثابة ولادة جديدة. بعد أيام، أو ربما أسابيع، قضوها في عتمة الكهوف وبرودتها، وجد فاضل ونادر ونور ومالك أنفسهم يخطون على أرض صلبة تحت سماء مفتوحة.

الهواء النقي، المشبع برائحة أعشاب لم يعرفوها من قبل، وأشعة الشمس الغاربة، بلونها الذهبي الدافئ، داعبت وجوههم المتعبة.

وقفوا للحظات، مبهورين بالاتساع اللامتناهي الذي امتد أمامهم.

سهول خضراء جميلة تتخللها تلال صخرية غريبة الشكل، وجبال شاهقة تلوح في الأفق البعيد، قممها مغطاة بالثلوج الأبدية.

وفي قلب هذا المشهد المهيب، انتصبت أبراج الصمت، سوداء وغامضة، كأنها حراس أسطوريون لعالم مجهول.

سبحان الله! همس فاضل، وعيناه تتسعان دهشة. ما هذا المكان؟!

هذا هو عالم السطح، يا فاضل، قال نور: بصوته الذي ما زال يحمل رنة غرابة بعد صمت طويل. عالم مختلف تماماً عما اعتدناه.

مالك، الذي بدا أكثرهم معرفة بهذا العالم، أشار بيده نحو الأبراج. تلك هي وجهتنا.

أبراج الصمت. هناك يكمن الختم الأقوى، ختم الهواء.

بدأ الأربعة رحلتهم عبر السهول الشاسعة.

كانت الرياح تهب بقوة، تحمل معها أصواتاً غريبة، همسات وأنين، كأنها أرواح تائهة تحكي قصصاً قديمة.

شرح نور أن هذه الرياح ليست عادية، بل هي جزء من طاقة الأبراج.

لم يكد يمضي وقت طويل حتى واجهوا أول تحديات هذا العالم الجديد.

دوامات هوائية حية، تشبه الأعاصير الصغيرة، بدأت تتشكل حولهم، تجذبهم نحوها بقوة غريبة. اكتشف فاضل أن البلورة الزرقاء تتوهج بشكل متقطع، كأنها تحاول التواصل مع هذه الدوامات. بينما شعر نادر بحرارة خفيفة تنبعث من البلورة الحمراء كلما اقتربت إحدى الدوامات.

يبدو أن البلورات تتفاعل مع طاقة هذا المكان، قال نادر وهو يحاول الحفاظ على توازنه ضد الريح.

ومع غروب الشمس، التي صبغت الأفق بلون قرمزي حزين، أدركوا أن التقدم أصبح مستحيلاً. قرروا المبيت في مكانهم، تحت سماء مرصعة بنجوم لم يروها من قبل بمثل هذا الوضوح.

بينما انشغل فاضل ونادر بالبحث عن مأوى بسيط بين الصخور المتناثرة، كان نور ومالك يتخذان مواقعهما للحراسة.

نور، بحدسه الحاد وعينيه التي لا يغفلها شيء، كان يمسح الأفق بحثاً عن أي حركة مريبة، بينما مالك، بوقفته الهادئة التي تخفي وراءها قوة كامنة، كان يراقب الظلال المتراقصة في الأفق، متأهباً لأي خطر قد يتربص بهم من أتباع ناركيل المتعصبين أو جنود كرب المتوحشين.

كان الصمت يلف المكان، يقطعه فقط حفيف الريح الباردة وهمس أوراق الشجر، مما يزيد من توتر الأجواء وترقبهم لأي طارئ.

قبل أن يخلد فاضـــل ونادر إلى النوم، تمددا جنباً إلى جنب، تحدق عيناهما في الفراغ، بينما تتسرب كلماتهما بصوت خافت، تحمل ثقل الرحلة ومرارة الفراق.

أتذكر يا نادر،قال فاضـل بصـوت متهدج، كيف كنا نحلم بإنهاء دراسـتنا والعودة إلى قريتنا، إلى دفء العائلة وراحة البال؟ تنهد نادر، وارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة.

أجل، كنا نظن أن أكبر همومنا هي الامتحانات. لم نكن نتخيل أننا سـنصـبح جزءاً من قصـة كهذه، نبحث عن أختام في عوالم مجهولة.

ضـــحك فاضـــل ضـــحكة خافتة، ممزوجة بمرارة خفية.أحياناً، أتمنى لو أن كل هذا كان مجرد حلم طويل، وأنني سـأستيقظ لأجد نفسـي في سـريري، أسـتعد لصـلاة الفجر أنا ووالدي في قريتي.

صمت نادر للحظة، ثم قال بنبرة حانية: لكننا هنا الآن يا فاضل. وهذه هي حقيقتنا. ربما لم نكن نختار هذه الرحلة، لكنها اختارتنا.

وعلينا أن ننهيها، مهما كلف الأمر، ليس فقط من أجلنا، بل من أجل كل من نؤمن بهم.

تبادلا نظرات عميقة، نظرات تحمل مزيجاً من التعب والأمل، العزم والحنين. كانت تلك اللحظات القليلة من الصدق العاطفي هي وقودهم للمضي قدماً في رحلتهم المجهولة.

وفي الصـباح، مع أول خيوط الفجر التي شـقت عتمة الليل، بدأوا في اسـتكشـاف المنطقة بتمعن، وعزموا على التقدم باتجاه الأبراج الشاهقة للبحث عن الختم الثالث.

*****

لم يسـيرا طويلاً، حتى لاحظ نور، بحاسـته الحادة، شـيئًا على الأرض. انحنى والتقطه. كانت قطعة صغيرة من الجلد المصقول، عليها آثار خياطة بدائية.

هذا ليس من صنع الظلّيين، قال مالك وهو يتفحصها.

ثم أشار فاضل إلى الأرض أمامه. انظروا... آثار أقدام.

لم تكن آثار أقدام ظلّية، بل كانت آثار أقدام بشرية واضحة، تقود نحو سلسلة من التلال القريبة.

قادتهم آثار الأقدام عبر تلة صخرية، ليكتشفوا خلفها مشهدًا لم يكن ليخطر لهم على بال. في حضن وادٍ صغير محمي من الرياح، تجمعت عشرات الخيام والأكواخ البسيطة، مصنوعة من جلود حيوانات غريبة وأغصان أشجار متشابكة.

كانت هناك نيران تدخن بهدوء، وأطفال يركضون بين الخيام، ونساء منهمكات في أعمالهن اليومية.

كانت قرية صغيرة، يسكنها بشر، وجوههم تحمل سمرة الشمس وخشونة الحياة البرية.

بشر... همس فاضل، وشعر بمزيج من الصدمة والفرح يغمر قلبه. كانوا أول بشر حقيقيين يقابلونهم منذ بداية رحلتهم الطويلة.

قرروا التقدم بحذر.

ما إن ظهروا عند مدخل الوادي، حتى علت صـيحة تحذير، وفي لحظات، اتخذ رجال القبيلة الأشداء وضعية دفاعية، رافعين رماحًا وأقواسًا بدائية.

كانت أسلحتهم تبدو بسيطة، لكن نظراتهم كانت حادة ولا تعرف الخوف.

وقف الأربعة في مكانهم، رافعين أيديهم في إشارة للسلام.

تقدم مالك ونور خطوة، واتخذوا وضـعية دفاع، بينما بقي فاضـل ونادر في الخلف.لكن ما غير الموقف تمامًا هو البلورات.

عندما رأى رجال القبيلة البلورة الزرقاء المتوهجة في يد فاضـــل والحمراء في يد نادر، انخفضت أسلحتهم قليلاً، وتحولت نظراتهم من العداء إلى مزيج من الرهبة والترقب.

بدا أنهم يعرفون شيئًا عن هذه الأحجار الأسطورية.

في تلك اللحظة، انفرجت صـفوف رجال القبيلة، وخرج من بينهم رجل عجوز، يسـير ببطء وهيبة، متكئًا على عصا طويلة مزينة بالريش.

كانت لحيته بيضاء كالثلج، وعيناه عميقتين تحملان حكمة السنين.

يبدو أنه زعيمهم، همس نادر. توقف العجوز أمامهم، وتفحصـــهم واحدًا تلو الآخر، ثم اســـتقرت عيناه على البلورات. تكلم بلغة الظلّيين القديمة، لغة بدت كهمس الريح بين الصخور. ركز نادر بكل حواسه، وفهم جوهر ما قاله: حملة الأختام... النبوءة... أهلًا بكم في ديار شعب الريح.

أشار العجوز بيده، فاستقبلهم أهل القبيلة. لم يكن استقبالًا فخمًا، بل كان بسيطًا وصادقًا. قادوهم إلى وسط القرية، حيث كانت نار كبيرة تشتعل وسط ساحة كبيرة، ودعوهم للجلوس

على جلود ناعمة. قدموا لهم ماءً نقيًا في أوعية خشـــبية، وقطعًا من لحم مشـــوي تفوح منه رائحة شهية.

شعر فاضل براحة لم يشعر بها منذ زمن، لكن الأسئلة كانت لا تزال تعصف برأسه. التفت إلى نادر، لكن قبل أن يطلب منه الترجمة، تكلم الزعيم مرة أخرى، وهذه المرة بلغة فاجأتهم جميعًا.

لا تقلقوا أيها الضـــيوف، قال العجوز بلغة عربية فصـــيحة، وإن كانت لهجتها وغريبة. لغة أجدادنا لا تزال حية في قلوبنا، نمررها من جيل إلى جيل، كآخر صـــلة لنا بالعالم الذي أتينا منه.

اتسعت عينا فاضل ونادر فرحًا ودهشة. تتكلمون العربية! قال فاضل بلهفة.

ابتسم العجوز، الذي عرفوا أن اسمه "كياتسو". وقال: نعم.

لم يتردد فاضل بسؤاله من أنتم؟ كيف وصلتم إلى هنا؟

تنهد كياتسو تنهيدة طويلة، كأنه يستدعي تاريخًا مؤلمًا.

نحن 'شعب الريح'، أو هذا ما نسمي به أنفسنا.

نحن من نســل البشــر الذين عبروا إلى 'أُولِدْ' عبر بوابات مختلفة من بلدانهم، تمامًا مثل بقية البشــر .كان أجدادنا تجارًا، مســتكشــفين، وعلماء، جاءوا إلى هذا العالم المذهل قبل أن يسقط في الظلام.

صمت للحظة، وعيناه تحدقان في ألسنة اللهب. بعد الانشقاق الكبير، عندما استولى ناركيل على السلطة، أُغلقت البوابات. حوصر أجدادنا هنا، وتعرضوا للاضطهاد والقتل. من نجا

منهم هرب إلى هذه السهول الشاسعة، وتعلموا كيف يعيشون في تناغم مع هذه الطبيعة القاسية، وأصبحوا 'شعب الريح'.

أخبرهم كياتسو الكثير عن حياتهم، وعن أبراج الصمت التي يعتبرونها مكانًا مقدسًا ومحرمًا في آن واحد، مكان الأرواح الذي لا يجرؤون على الاقتراب منه، لأنه لا يعود منه من يذهب إليه.

ثم نظر إلى فاضل ونادر نظرة ذات معنى.

لقد رأينا حملة أختام من قبل. لستم الأوائل.

خيم صمت ثقيل على الحاضرين. ثم أكمل كياتسو وكأنه يتذكر شيئًا أليمًا: قبل سنوات قليلة، وصل إلى هنا ثلاثة من بني جلدتكم، يحملون نفس العزم في عيونكم، ويسعون لنفس الغاية. لقد حذرناهم من الأبراج، لكنهم أصروا على الذهاب.

ذهبوا... ولم يعد منهم سوى واحد.

شعر فاضل بقشعريرة تسري في جسده. وماذا حدث له؟

لقد فقد رفيقيه في الأبراج، وعاد محطم القلب والروح. فاختار أن يتخلى عن مهمته، ورضي بالبقاء معنا هنا.

هل... هل ما زال موجودا؟ سأل نادر بلهفة.

نعم، قال كياتسو.

علينا أن نراه! الآن! ألح فاضل.

أرسل كياتسو أحد رجاله لاستدعاء الرجل، لكن الرسول عاد بعد دقائق ليخبرهم بأن الرجل يعتذر عن الحضور.

زاد هذا الرفض من فضـــول فاضـــل ونادر. كيف لرجل أن يرفض مقابلة زوار أتوا من عالمه بعد كل هذه السنوات من العزلة؟ ما هو السر الذي يخفيه؟

سنذهب إليه بأنفسنا، قال فاضل بحزم.

أومأ كياتســـو برأســـه، وأشـــار إلى أحد رجاله ليقودهم إلى خيمة الرجل، التي كانت تقع في طرف القرية.

الفصل الثامن

قادهم رجل القبيلة إلى خيمة منعزلة في طرف الوادي، ترفرف أقمشـــتها البالية بفعل الريح كأنها تتنهد.

توقف فاضل ونادر أمام مدخلها المغلق، وتبادلا نظرة سريعة. كان الهواء حول الخيمة مشبعًا بصمت أثقل من صمت الوادي نفسه، صمت العزلة والذكريات.

هل نحن متأكدان من هذا؟

همس نادر، وشعر بتردد لم يعهده في نفسه مؤخرًا. ليس لدينا خيار آخر، رد فاضل بحزم، ثم تقدم ورفع يده. السلام عليكم... هل تسمح لنا بالدخول؟

جاء الرد من الداخل بعد لحظة صـمت طويلة، صـوت أجش وضـعيف، يحمل بحة السـنين والوحدة: تفضـلوا...دلفا إلى الداخل بحذر. كانت الخيمة بسيطة ومظلمة، لا يضيئها سوى شعاع ضوء خافت يتسلل من فتحة في السقف.

كانت تفوح منها رائحة أعشـــاب مجففة ودخان بارد. في زاوية الخيمة، كان يجلس رجل على بساط من الفرو، ظهره محني، وملامحه غارقة في الظل.

لم يرفع رأسه نحوهما في البداية.

نحن آسفان على إزعاجك، بدأ فاضل الحديث.

أخبرنا الزعيم كياتســـو أنك من عالمنا. عندها فقط، رفع الرجل رأســـه ببطء. كان وجهه شـاحبًا، ولحيته طويلة يختلط فيها البياض بالسـواد، وكأن السـنين قد حفرت أخاديدها على محياه بعنف، مما جعله يبدو أكبر من عمره بكثير.

رحب بهما الرجل بكلمات عربية متقطعة، كأنه يستخرجها من بئر عميقة في ذاكرته.

اتسعت عينا فاضل ونادر عندما سمعا لهجتهما الأم، كأن صدى دافئًا من وطنهما قد وصل إليهما عبر الفراغ.

عرف فاضل بنفسه كاملاً، ثم جاء دور نادر.

في تلك اللحظة، عندما نطق نادر باسمه، تجمدت ملامح الرجل. توقف الزمن في الخيمة المظلمة. اتسعت عيناه بذهول لا يمكن وصفه، وبدأت شفتاه ترتجفان.

نقطة، ثم أخرى، بدأت دموع غزيرة تتساقط على لحيته، كأن سدًا من الحزن والألم قد انهار فجأة بعد عشرين عامًا من الصمود.

أعد... أعد ما قلته، همس الرجل بصوت مخنوق بالبكاء، وهو ينهض ببطء على ركبتيه.

اسمي نادر... بن حسني، كرر نادر، وهو ينظر إلى الرجل بقلق وحيرة.

لم ينتظر الرجل إجابة أخرى. اندفع نحو نادر واحتضنه بقوة، بقوة رجل وجد كنزه المفقود. كان عناقًا يرتجف، يمتزج فيه فرح اللقاء بمرارة الفراق الطويل. وبصوت متقطع بالبكاء، همس في أذن نادر: نادر... يا بني؟

أنا... أنا عمك أحمد! صعق نادر.

تجمد في مكانه، يحاول استيعاب الكلمات. أحمد... عمه الذي اختفى فجأة قبل أكثر من عشرين عامًا، والذي بكته العائلة وظنت أنه مات. هل يمكن أن يكون هذا حقيقيًا؟ انفصل أحمد عن نادر، وأمسك بوجهه بيدين مرتعشتين، يتفحصه كأنه لا يصدق عينيه.

لقد كنت طفلاً في عامك الأول عندما... عندما أتيت إلى هنا. والآن... انظر إليك. رجل.

كان اللقاء أشبه بمعجزة، كأن القدر قد نسج خيوطه المعقدة عبر عوالم مختلفة ليعيد لم شمل هذه العائلة. صمت فاضل، تاركًا للحظة أن تتحدث عن نفسها، عن الألم والأمل، عن البحث واللقاء.

بعد أن هدأت عاصفة المشاعر الأولى، جلسوا مرة أخرى. تبادلا الأحضان من جديد، لكن هذه المرة كانت أحضانًا أكثر هدوءًا، تحمل دفء الذكرى وحزن السنين.

بدأ نادر يخبر عمه عن كل شيء، عن والده حسني، وعن العائلة التي لم تفقد الأمل يومًا، وعن رحلته الغريبة التي قادته إلى هذه الخيمة في هذا العالم المنسي.

ثم جاء دور أحمد. بصوت لا يزال يحمل رجفة، وبدأ يروي قصته. كيف قادته بعثة أثرية إلى بوابة منسية، وكيف عبرها مع رفيقيه، وكيف واجهوا أهوال أبراج الصمت التي ابتلعت صديقيه وتركته وحيدًا ومحطمًا.

ثم بدأ يشرح كل شيء بالتفصيل، عن الأحلام التي كانت تأتيه، أحلام حملت إليه قصصاً من الماضي البعيد، وكيف عرف قصة رهيم وعالم الظليين، كاشفاً عن أسرار ظلت مدفونة لعقود.

سالم (رهيم كما عرف في عالم الظليين) وكيف دخل أول مرة إلى أولد، وتزوج من امرأة دلفت هي الأخرى من عالم بشري آخر وأنجبا فتاة وحيدة سماها سهى.

وفي عالمنا، أكمل أحمد بصوت خافت، تزوج من امرأة أخرى، وأنجب منها ثلاثة أولاد: علي، وحسني... والدك يا نادر، وأنا.

شعر نادر بدوار، كأن الأرض تميد به.

ثم أكمل سهى عاشت هنا في عالم الظل، وتزوجت من أحد ملوك الظلّيين قبل الانشقاق. ولم تنجب له سوى فتاة واحدة... وهي سيرين.

صمت صمت مطبق وثقيل.

لم يستوعب نادر ما سمع.

سيرين... الفتاة التي رآها في أحلامه، الفتاة التي يخاطر بحياته لإنقاذها... هي قريبته. ورُهيم، الشخصية الأسطورية، هو جده.

نظر إلى فاضل، الذي كان يستمع في صمت وذهول. كانت رحلتهما ليست مجرد مغامرة لإنقاذ فتاة غريبة، بل كانت قدرًا عائليًا محتومًا، خيوطه تمتد عبر الأجيال والعوالم.

*****

خيم صمت ثقيل على الخيمة المظلمة، صمت لم يقطعه سوى صوت تنفس نادر المتقطع. كانت الكلمات التي نطق بها عمه لا تزال تتردد في أذنيه، ترسم خطوطًا جديدة ومذهلة على خريطة حياته كلها.

سيرين... ابنة عمته. رُهيم... جده. لم تعد المهمة مجرد واجب لإنقاذ فتاة غريبة، بل أصبحت نداء دم، صرخة من جذوره الممتدة عبر العوالم.

جلس فاضل بجانب صديقه، يضع يده على كتفه في لمسة دعم صامتة. كان يرى الصراع في عيني نادر، مزيجًا من الذهول، والحزن على سنين لم تُعَش، وعبء مسؤولية ثقيل هبط عليه فجأة.

عشـــرون عامًا.. همس أحمد، وعيناه تائهتان في الماضـــي. عشـــرون عامًا وأنا أعيش على ذكريات عالم تركته خلفي، وأحلام تأتيني كالأشباح.

نظر إلى نادر، وقد استقرت ملامحه الحزينة.

لقد حذركم كياتسو من أبراج الصمت، أليس كذلك؟

أومأ فاضل برأسه. وقال اخبرنا أنه مكان لا يعود منه أحد.

لقد كان صادقًا، قال أحمد بصوت أجش.

ارتسـمت على وجهه تعابير ألم عميق، كأنه يسـتحضـر وحشًـا من ذاكرته. لقد دخلتها مع رفيقين، 'جلال' و'عمر'. كنا ثلاثة، مفعمين بالأمل، نعتقد أننا سـنغير مصـير هذا العالم. لم نكن نعلم أننا نسير نحو قبورنا.

انحنى أحمد إلى الأمام، وكأنه يشـاركهم سـرًا مرعبًا. أبراج الصـمت ليسـت بناءً من حجر، يا أولاد. إنها كائن حي. تتنفس، تفكر، وتتغذى على أرواح من يدخلها. جدرانها الســـوداء ليست صماء، بل هي مليئة بالعيون التي تراك ولا تراها.

صـــمت للحظة، وعيناه تحدقان في الفراغ. في اليوم الأول، ضـــللنا الطريق. الممرات كانت تتغير من حولنا، تتلوى وتتشكل كالأفاعي.

بعد سـاعات من التخبط في ممراتها المتغيرة، وصـلنا إلى قاعة دائرية شـاسـعة، غارقة في ظلام شـــبه مطلق. كانت هناك ثلاث بوابات حجرية عملاقة، متطابقة، لا يمكن تمييزها. أيها الطريق الصحيح؟

اقترح جلال فكرة يائسة.

أكمل أحمد وهو يمســـح دمعة شـــاردة. أن نفترق، كل منا يدخل بوابة، على أمل أن ينجو أحدنا على الأقل.

عارضته بشدة، لكن عمر ووافقه الرأي.

دخل جلال بوابته دون تردد، ثم عمر، ثم أنا. لم أخطُ ســـوى خطوات قليلة، حتى مزق الصمت صرخة... صرخة مليئة برعب لا يمكن وصفه، كأن روحًا تُنتزع من جسدها بعنف. كان صوت جلال.

عدت راكضًا إلى القاعة، فوجدت عمر قد عاد هو الآخر، وجهه شاحب كالموتى.

تجرأنا ودخلنا بوابة جلال... لم نجد شيئًا.

لا أثر له، سوى بقايا أشلاء تتبخر في الهواء كالدخان. هربنا من تلك القاعة الملعونة، نركض بلا هدى، والخوف يمزقنا.

شعر فاضل بقشعريرة تسري في كل جسده.

أكمل أحمد، وصـــوته يرتجف. واصـــلت أنا وعمر الســـير، نحاول تجاهل الأصـــوات، تجاهل الظلال التي كانت تتراقص على حافة رؤيتنا. لكن الأبراج لم تكن تهاجمنا بالقوة، بل كانت تفككنا من الداخل.

في أحد الممرات، واجهنا وهمًا... رأينا بوابة مضـــيئة، وفي الجانب الآخر كانت بيوتنا، عائلاتنا، حياتنا التي تركناها. كان الوهم مثاليًا لدرجة أنه يؤلم بشـــدة . حاول عمر العبور... وفي اللحظة التي لمس فيها البوابة، تحول إلى غبار أسود وامتصه الهواء.

أغمض أحمد عينيه، وسالت دمعة وحيدة على خده الشاحب.

هربت لا أعرف كيف. ركضت بلا هدف، والخوف يمزقني، حتى وجدت نفسي خارج الأبراج مرة أخرى، وحيدًا. لقد أخذت مني كل شيء... أصدقائي، شجاعتي، وأملي. لهذا السبب بقيت هنا، لأنني أعلم أن من يدخل تلك الأبراج، لا يخرج منها إلا كصدى فارغ لما كان عليه.

بعد هذه القصة المروعة، لم يعد هناك ما يمكن قوله. خرجوا من الخيمة إلى هواء الليل البارد. انضم إليهم نور ومالك، اللذان كانا ينتظران في صمت. جلس الأربعة حول نار خافتة، وعيونهم تائهة في الظلام.

إذن... هذه هي الحقيقة، قال نادر أخيرًا، وصوته يحمل صلابة جديدة، صلابة من رحم الألم.

المكان فخ مميت.

لقد خاطرنا بحياتنا حتى الآن، قال فاضل بهدوء. لكن هذا... هذا شيء مختلف، هذا انتحار.

ربما، قال نادر، ورفع رأسه لينظر إلى الأبراج التي بدت كظلال عملاقة تحت ضوء النجوم. لكن الأمور تغيرت الآن. لم أعد أبحث عن أختام لإنقاذ فتاة غريبة. أنا ذاهب إلى هناك لأستعيد سيرين ابنة عمتي.

نظر إلى فاضل، وعيناه تلمعان بتحدٍ وعزم. أنا أفهم إذا كنت تريد التراجع يا فاضل. لقد فعلت أكثر مما يمكن لأي صديق أن يفعله. هذه معركتي الآن.

نظر فاضل إلى صديقه، ثم إلى الأبراج البعيدة، ثم إلى البلورة الزرقاء في يده التي كانت تنبض بضوء خافت وهادئ. تذكر كلمات سيرين في حلمه، وتذكر وعده الصامت لنفسه.

ابتسم ابتسامة هادئة. هل نسيت يا نادر؟ نحن في هذا معًا. لم تكن معركتك وحدك في البداية، ولن تكون كذلك الآن.

وضع يده على كتف نادر. سواء كانت غريبة أو ابنة عمتك، فهي إنسانة بريئة تحتاج إلى المساعدة. وهذا سبب كافٍ.

التفت الاثنان إلى نور ومالك.

لقد قطعت وعدًا، قال نور بصوته الهادئ. سأبقى معكما حتى النهاية.

أما مالك، فكان يراقب المشهد بملامح لا يمكن تفسيرها. قال ببطء: الطريق إلى الأبراج محفوف بالمخاطر، لكن ربما... بوجود ختمين معكم، تكون فرصتكم مختلفة عن فرصة أحمد.

في تلك اللحظة، اتُخذ القرار. لم يكن قرارًا مبنيًا على الأمل الساذج، بل على إدراك تام للخطر، وعزم لا يتزعزع لمواجهته. لم يعودوا مجرد مغامرين، بل أصبحوا جنودًا في حرب لم يختاروها، لكنهم قبلوا مصيرهم فيها.

وقف نادر، ونظر نحو الأبراج التي تخترق السماء. غدًا... سنواجه أبراج الصمت.

الفصل التاسع

مع بزوغ الفجر، لم يكن الهواء يحمل برودة الصباح فحسب، بل كان مشبعًا بالترقب والقرارات التي لا رجعة فيها. بعد ليلة من الحكايات المروعة والعزم المتجدد، كان وقت الرحيل قد حان.

عندما أبلغوا الزعيم كياتسو بقرارهم النهائي، لم تظهر على وجهه أي علامات مفاجأة. أومأ برأسه ببطء، كأنه كان يتوقع ذلك. الشجاعة لا تكمن في غياب الخوف، بل في مواجهته، قال بصوته العميق. وشعب الريح لا يترك حلفاءه يواجهون العاصفة وحدهم.

قادهم كياتسو إلى كهف كبير على حافة القرية، حيث كانت تصطف عدة هياكل غريبة لم يروها من قبل. كانت أشبه بزلاجات خشبية كبيرة، مصقولة وناعمة، ومثبت عليها أشرعة حريرية متينة. وفي قاعدة كل زلاجة، كانت هناك بلورات صغيرة تشبه تلك التي معهم، لكنها كانت باهتة ومطفأة.

هذه زلاجات الريح، شرح كياتسو. هي فخر قبيلتنا. تتحرك بقوة الريح، وتطفو على وسادة من الهواء تولدها هذه البلورات. ستوصلكم إلى سفح الأبراج بسرعة وصمت.

أمر رجاله بتجهيز زلاجتين، وتزويدهما بالماء والزاد الكافي لعدة أيام. ثم نادى على ثلاثة من أشد محاربيه، رجال صامتون كانت عيونهم تحمل بريق الفولاذ. هؤلاء سيرافقونكم. يعرفون السهول كراحة أيديهم، وسيكونون درعكم الأول.

قبل الانطلاق، انفرد نادر بعمه أحمد لوداعه. كان العناق هذه المرة هادئًا، لكنه أعمق.

في تلك الأثناء، اقترب كياتسو من فاضل. أيها الشاب ذو القلب النقي، قال الزعيم. تذكر، أبراج الصمت تختبر الروح قبل الجسد. لا تثق بكل ما تراه، ولكن ثق بالبوصلة التي في قلبك.

كانت المجموعة جاهزة. فاضل، نادر، نور، والمحاربون الثلاثة يستعدون للصعود على متن الزلاجات.

بعيدًا عنهم، ومن بين ظلال الصخور، كان هناك زوج آخر من العيون يراقب المشهد.

وقف مالك، وابتسامة خفية وبالغة الدقة ترتسم على هيئته الظلّية.

بينما كان نادر يعانق عمه، وبينما كان فاضل يتلقى حكمة الزعيم، أغمض مالك عينيه للحظة. في خضم هذا المشهد المفعم بالأمل والوداع، أرسل رسالة ذهنية مشفرة إلى ناركيل، رسالة بسيطة وقاتلة: إنهم يستعدون للرحيل الآن. هذا هو الوقت المناسب.

*****

وماهي إلا لحظات، حتى اهتزت الأرض بعنف. دوّى صوت انفجار هائل من خارج الوادي، صوت جعل الهواء نفسه يرتجف.

التفت الجميع في رعب. صرخ كياتسو بصوت اهتز له الوادي: زارثوس! لقد وصل!

لم يكن هناك وقت للتفكير.

تدفق جيش الظلّيين المتطرفين إلى الوادي كالسيل الأسود، وفي مقدمتهم زارثوس، الذي كان حضوره وحده يبث الرعب.

عمّ الفزع أرجاء القرية، وبدأ الناس يركضـــون في كل اتجاه، كأنهم أوراق تتطاير في عاصـــفة هوجاء.

اشـــتعلت النيران في الأكواخ، وتعالت صـــرخات الأبرياء، وبدأت معركة يائســـة من أجل البقاء.

انضم فاضل ونادر ونور والمحاربون الثلاثة إلى القتال فورًا. فاضل، بقوة بلورته الزرقاء، أطلق موجات من الطاقة أطاحت بالعديد من المهاجمين. ونور، بســـرعته الخارقة، كان يتنقل بين الظلّيين كالشبح، سيفه يضرب بدقة قاتلة.

في خضم هذه الفوضى، كان العم أحمد، يقاتل كأنه في العشرين من عمره.

بخبرة السـنين التي قضـاها في هذا العالم القاسـي، كان يراوغ ويضـرب بفأسـه البدائي، مدافعًا عن مدخل القرية ببسالة.

لكن زارثوس، الذي كان يرى فيه مجرد عائق، انقض عليه بضربة غادرة.

سقط أحمد أرضًا، وعيناه تحدقان في نادر بابتسامة حزينة، وكأنه يودعه للمرة الأخيرة.

عمي! صرخ نادر بألم مزق حنجرته، وحاول أن يهرع إليه، لكن نور أمسك به بقوة.

لا فائدة يا نادر! المعركة لم تنتهِ!

أشـعل موت أحمد نارًا في قلب نادر لم يعهدها من قبل. لم يعد يقاتل من أجل مهمة، بل من أجل الثأر. التقط رمحًا من جندي سقط بجانبه، وبغضب أعمى، شكل رمزًا معقدًا في الهواء.

توهج الرمح بطاقة حمراء، وانطلق كشـــهاب نحو زارثوس. اخترق الدرع الظلّي لزارثوس وصـــدره، فجمدت عينا الأخير بذهول قبل أن ينهار جســـده الضـــخم ويتحول إلى جثة هامدة.

ســـاد صـــمت مذهول للحظة بعد مقتل القائد المرعب. لكن في هذه اللحظة من الهدوء النسبي، التفت نادر، وعيناه تشتعلان غضبًا وألمًا، نحو الشخص الذي لم يشارك في القتال، الشخص الذي كان يقف ويراقب ببرود: مالك.

قال نادر بصوت متحشرج. أنت من جلبهم إلى هنا!

ابتسم مالك تلك الابتسامة الباردة التي لم يفهموها من قبل.

لقد كنتم مجرد أدوات، أيها البشر السذج. والآن، انتهى دوركم.

كانت الكلمات كالصـــاعقة. تجمد فاضـــل في مكانه، وشـــعر بالغثيان. مالك، الحليف، الصديق... كان مجرد قناع.

أيها الخائن! صرخ نادر، وصوته اهتز من شدة الخيبة.

قبل أن يتمكن أي منهم من التحرك، اســتغل مالك لحظة الصــدمة هذه. وانســل هاربًا في الظلام، تاركًا وراءه دمارًا وحقيقة مر كالعلقم.

*****

بعد هروب مالك، بدأ جيش الظلّيين المتطرفين، الذي فقد قائده، بالتراجع في فوضى. انتهز شعب الريح الفرصة، وقاموا بمطاردة الفلول الهاربة وتأمين الوادي.

فرغت ساحة المعركة شيئًا فشيئًا، ولم يبقَ فيها سوى دخان الحرائق، وجثث الأعداء، وصمت ثقيل يلف الناجين.

اقترب نادر من جثمان عمه أحمد، وجثا على ركبتيه بجانبه. لم تكن هناك دموع في عينيه هذه المرة، بل نظرة صلبة كالفولاذ، نظرة رجل وُلد من جديد في قلب النار.

تقدم الزعيم كياتسو، الذي كان يعالج جرحًا في ذراعه، ووضع يده الكبيرة على كتف نادر.

لقد قاتل عمك بشراسة كواحد منا، وسيبقى ذكره خالدًا بيننا كبطل من أبطال شعب الريح، قال بصوت خشن لكنه مليء بالاحترام. دمه لن يذهب هدرًا يا بني. أقسم لك بذلك.

*****

في وقت لاحق، بعد أن تم دفن الموتى وتضميد جراح المصابين، دعا كياتسو إلى اجتماع عاجل في خيمته الكبيرة. ضم الاجتماع فاضل، ونادر، ونور، وكبار قادة محاربي القبيلة.

لقد حدث ما كنا نخشاه، بدأ كياتسو حديثه، وصوته يحمل وزنًا ثقيلاً.

لقد كُشف مكاننا، لكنهم سيدفعوا ثمنًا باهظًا.

ثم نظر إلى نادر وفاضل. مهمتكم أصبحت الآن أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى.

ناركيل، بعد أن خسر قائده المخلص زارثوس، سيركز كل حقده على منعكم من الوصول إلى الختم الثالث.

لقد وصلتني الأخبار من كشافتنا، أكمل كياتسو وهو يبسط خريطة مصنوعة من الجلد على الطاولة.

ناركيل والعبد الخائن مالك لم يعودا إلى معسكرهم الرئيسي.

لقد ذهبا مباشرة إلى أبراج الصمت. إنهما ينتظرانكم هناك، يظنان أنكم ستذهبون مباشرة للحصول على الختم الثالث.

ضحك كياتسو ضحكة ساخرة.

يا لغبائهما! لقد استعجلا على حتفهما فقط.

لقد حصروا أنفسهم في أرضنا.

أشار إلى الخريطة التي رسمها أحمد. بفضل هذا الرجل الشجاع، نحن نعرف هذه المنطقة أفضل من أي شخص آخر. لقد قمنا بإغلاق كل الممرات المؤدية إلى هذه السهول، ووضعنا كمائن في كل زاوية.

ناركيل ومالك ومن معهما معزولون تمامًا. لن تصلهم أي إمدادات.

لمعت عينا كياتسو ببريق استراتيجي.

وهذه هي خطتنا: جنودي سيتحركون الليلة. سنتسلل إلى محيط أبراج الصمت، وسنقيم حصارًا محكمًا.

سنستخدم معرفتنا بالأرض لشن هجمات خاطفة وإرهاقهم هناك. لن نجعلهم يرتاحون لحظة واحدة.

ثم وجه نظره إلى فاضـــل ونادر ونور. أما أنتم، فمهمتكم مختلفة. لن تذهبوا مباشـــرة إلى الأبراج. ستسلكون طريقًا سريًا آخر، طريقًا لا يعرفه إلا قلة قليلة.

سيقودكم إلى مدخل خلفي للأبراج، مدخل يتجاوز معظم دفاعات ناركيل.

هدفكم هو الحصول على ختم الهواء، بينما نقوم نحن بإشغال ناركيل وجيشه في الخارج.

اندهش فاضل ونادر من دقة خطة وحنكة كياتسو العسكرية.

لم يكن مجرد زعيم قبيلة بدائي، بل كان جنرالًا مخضرمًا.

لكن... هل ستكونون بخير؟ سأل فاضل بقلق.

جيشكم أصغر مقارنة بجيش ناركيل.

لا تقلق يا بني،قال كياتسو بثقة. نحن لا نقاتل بالقوة فقط، بل بالعقل.

لقد حان الوقت لنأخذ بثأر أجدادنا.

غايتكم هي الحصول على الختم، وغايتنا هي أن نمنحكم الوقت الذي تحتاجونه لذلك.

*****

بعد انتهاء مجلس الحرب، لم يكن هناك وقت للراحة. تحولت القرية إلى خلية نحل عســكرية. تم توزيع الأسلحة، وتجهيز المؤن، ومراجعة الخطط.

كان الهواء مشحونًا بمزيج من التوتر والعزيمة.

خرج كياتسو من خيمته، واعتلى منصة مرتفعة في الساحة الرئيسية.

وقف للحظة، وعيناه تجولان في وجوه محاربيه، وجوه تحمل خشونة السنين وقسوة الحياة، لكنها تلمع الآن بنار التحدي.

يا أبناء الريح! يا أحفاد الأبطال!

بدأ كياتسو خطابه، وصوته القوي يصدح في الأجواء.

لقد عانينا طويلاً تحت وطأة الظلم. اختبأنا في هذه السهول، بينما كان أعداؤنا يعيثون فسادًا في عالمنا.

لكن اليوم، انتهى زمن الاختباء! اليوم هو يوم الثأر!

ارتفعت صيحات حماسية من المحاربين، كأنها زئير أسود جائعة.

ناركيل، ذلك المتغطرس، حصر نفسه في أرضنا، يظن أننا لقمة سائغة. لكننا سنريه اليوم قوة شعب الريح!

تابع كياتسو، ورفع فأسه عاليًا. سنقاتل حتى آخر رمق، من أجل أجدادنا الذين سقطوا، ومن أجل أطفالنا الذين سيولدون في عالم حر! انطلقوا، ولتكن الريح في ظهوركم، والنصر حليفكم!

انطلق الجيش كالسيل الجارف تحت جنح الظلام، مجموعات صغيرة تتسلل عبر السهول، كل محارب يحمل في قلبه نار الانتقام، وفي يده سلاحًا يترقب لحظة الانقضاض.

*****

في تلك الليلة كان فاضل ونادر ونور يستعدون لمهمتهم الخاصة.

نهض فاضـــل من نومه، توضـــأ ثم صـــلى ركعتين، وبدأ في مناجاة ربه بقلب خاشـــع وعينين دامعتين.

﴿يا رب العالمين، يا من بيدك ملكوت كل شيء، نسألك العون والمدد في مهمتنا هذه.

لقد ضاقت بنا السبل، وتكالبت علينا الخطوب، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.

اللهم يسر لنا أمرنا، وافتح لنا أبواب رحمتك، واهدنا سواء السبيل.

احفظنا من كل سوء، ومن كل شر، ومن كل خائن.

اللهم احفظ سيرين، واجمعنا بها سالمين غانمين.

اللهم أعدنا إلى أهلنا وديارنا، وقد أتممنا مهمتنا على أكمل وجه، وأعدنا التوازن إلى هذا العالم الذي اختل ميزانه.

إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.﴾

كانت كلماته تخرج من أعماق روحه، تحمل كل آماله ومخاوفه، وتؤكد إيمانه العميق بأن النصر لا يأتي إلا من عند الله.

الفصل العاشر

مع أول خيوط الفجر، كانت المجموعة الصغيرة جاهزة. فاضل، نادر، ونور، يرافقهم محاربان من أمهر كشافة شعب الريح، الذين سيعرفونهم على الطريق السري.

ودعوا كياتسو، الذي كان سيلحق بجيشه بعد قليل.

اذهبوا، أيها الأبطال،

قال كياتسو. مصير هذا العالم يعتمد عليكم الآن.

انطلقوا في اتجاه مختلف عن الجيش، نحو ممر جبلي ضيق وغير واضح.

كانت وجهتهم أبراج الصمت، لكن هذه المرة، لم يكونوا ذاهبين كمستكشفين خائفين، بل كمحاربين في قلب معركة ستحدد مصير كل شيء.

قاد الكشافان فاضل ونادر ونور عبر ممرات جبلية وعرة، حتى وصلوا إلى صدع ضيق في قاعدة أحد الأبراج، مخفي خلف ستار من النباتات المتسلقة.

هذا هو الطريق السري، همس أحدهما. لا يعرفه إلا قلة، سيقودكم إلى قلب الأبراج، متجاوزين معظم دفاعات العدو.

مهمتنا تنتهي هنا.

لتكن الريح معكم.

ودّع الأبطال الكشافين، ودلفوا إلى الممر المظلم.

كان أضيق وأكثر انحدارًا من المدخل الرئيسي، والهواء فيه أثقل، مشبع برائحة الحجر القديم وطاقة مكبوتة.

كانت الأبراج تنتصب أمامهم كعمالقة سوداء، شقت عنان السماء، وهياكلها الحجرية الضخمة تلتف حول بعضها البعض في متاهة معقدة.

كانت أبراج الصمت، كما يوحي اسمها، تكتنفها هالة من السكون المطبق، لا يقطعه سوى حفيف الريح الذي يمر عبر شقوقها القديمة، وكأنه همس من عوالم أخرى.

كانت جدرانها منقوشة برموز غامضة ونقوش عتيقة، تحكي قصصاً منسية عن حضارات قديمة وقوى خفية.

كان الوصول إلى الختم الثالث، ختم الهواء، يتطلب منهم اجتياز متاهات الأبراج المعقدة، التي كانت مليئة بالفخاخ والألغاز التي اختبرت ذكائهم وقدرتهم على التحمل.

واجهوا دوامات هوائية قوية كادت أن تبتلعهم، وأصواتاً خفية حاولت تضليلهم، وأوهاماً كادت أن تفقدهم صوابهم.

لكن بفضل بلورة فاضل الزرقاء التي كانت تتوهج بقوة، وبلورة نادر الحمراء التي كانت ترشدهم في الظلام، وخبرة نور في التعامل مع طاقات هذا العالم، تمكنوا من تجاوز كل العقبات.

*****

في تلك الأثناء كان جيش شعب الريح، تحت قيادة كياتسو، يتسلل عبر الظلال ليبدأ هجومه المباغت. كانت خطتان تسيران في آن واحد، كل منهما تحمل مصير الأخرى على كاهلها.

تحت جنح الظلام، ومع هبوب رياح الليل الباردة، أعطى كياتسو الإشارة.

كان الهجوم أشبه بعاصفة هوجاء صامتة.

انطلق جنود شعب الريح كالأشباح، مستغلين معرفتهم التامة بالتضاريس.

استخدموا الكمائن التي وضعوها مسبقًا ببراعة، فكانت الأفخاخ تبتلع جنود ناركيل واحداً تلو الآخر.

أُطلقت قنابل الدخان لتغطية تحركاتهم، والسهام المضيئة لتشتيت انتباه العدو.

رغم هذا الهجوم المزلزل، قاوم ناركيل وأتباعه بضراوة، واشتعلت معركة كر وفر عنيفة بين الصخور، صرخات القتال المكتومة تمتزج بقعقعة السلاح.

رغم خسائرهم، لم يكن جيش ناركيل بالخصم السهل.

استمرت المقاومة الشرسة لساعات، وبدأ الإرهاق يظهر على وجوه محاربي شعب الريح. كان الزعيم كياتسو في قلب المعركة، يقاتل بفأسه الضخم، ويقود جنوده بحكمة وشجاعة، يرفع من معنوياتهم ويحثهم على الصمود.

رأى ناركيل أن الهزيمة باتت وشيكة، وأن جنوده يتساقطون كأوراق الخريف.

أدرك أنه لا يستطيع الصمود أكثر، فأصدر أمرًا بالانسحاب، وولى هاربًا مع من تبقى من أتباعه.

*****

في الداخل، وصل الأبطال أخيرًا إلى وجهتهم: غرفة دائرية شاهقة، مفتوحة على السماء، تتوسطها البلورة الخضراء، الختم الثالث، تتوهج بنور ساطع وتطفو في منتصف إعصار

هوائي. بمجرد أن لمسها نادر انبعث منها نور ساطع اجتاح المكان كله، وشعر بقوة هائلة تتدفق في عروقه، قوة الهواء التي تمنحه القدرة على التحكم في الرياح والأصوات، والتحليق في السماء. لقد حصلوا على مفتاح القوة المطلقة، وخطوة كبيرة نحو استعادة التوازن.

*****

بينما كان ناركيل يفر، تمكن الزعيم كياتسو من محاصرة مالك الخائن، الذي حاول التسلل والفرار معه.

إلى أين أيها الخائن؟ صرخ كياتسو، وألقى بفأسه الضخم الذي أصاب مالك في ساقه، فسقط أرضًا، وتم أسره على الفور.

انتهت المعركة بانتصار لشعب الريح، لكنه كان انتصارًا مكلفًا، وناركيل لا يزال طليقًا.

الفصل

الحادي عشر

بعد أن انقشع غبار المعركة، ولفّ الصمت الممزوج بالأنين أرجاء قرية شعب الريح، لم يكن هناك شعور بالانتصار، بل ثقل الخسارة. كانت أشعة الشمس الباهتة تتسلل عبر الأفق، تلقي بظلالها الطويلة على الأكواخ المحترقة، شاهدة على شراسة القتال الذي دار.

تجمع فاضل ونادر ونور حول جثمان العم أحمد. كان نادر يجلس بجانبه، يده ترتجف وهي تلامس وجه عمه البارد، دموعه تنساب بصمت.

لم تكن دموع حزن فقط، بل دموع غضب على خيانة مزقت ثقته، ومرارة على لقاء لم يكتمل.

وقف فاضل بجانبه، يشاركه صمته، مدركًا أن هذه اللحظة ستغير صديقه إلى الأبد.
أما نور، فكانت عيناه تراقب المشهد، تحملان مزيجًا من التعاطف والعزم البارد.
فجأة، نهض نادر، مسح دموعه بكف يده وقال بصوت خشن لكنه ثابت: كرامة الميت دفنه وبمساعدة فاضل ونور، حملوا جثمان العم أحمد ودفنوه في مراسم إسلامية بسيطة ومؤثرة، تحت سماء هذا العالم الغريب الذي شهد بسالته.

بعد ذلك، لم يستسلموا لحزنهم.

توجه الأبطال نحو الجرحى المنتشرين في القرية.

بفضل ما تعلموه من إسعافات أولية، أظهروا براعة غير متوقعة في مداواة الجروح وتخفيف الآلام، مما أثار إعجاب وامتنان شعب الريح.

كانت أيديهم الماهرة تعمل بجد، تضمد الجراح وتزرع الأمل، وكأنهم يعلنون أن الحياة ستستمر، وأن النضال لم ينته بعد.

*****

بعد أن هدأت الأمور قليلاً، تجمع الأبطال مع كياتسو ومستشاريه في خيمة مجلس الحرب. كان الجو مشحونًا بالجدية.

بدأ كياتسو الحديث: لقد دفعنا ثمناً غالياً، لكننا أثبتنا لناركيل أننا لسنا لقمة سائغة.

لقد خسر زارثوس، ومالك أصبح أسيراً لدينا.

هذه ضربة قوية لهم، لكنها لن توقف ناركيل.

إنه مجنون بالسلطة، ولن يتوقف حتى يحصل على الأختام الأربعة.

نظر كياتسو إلى نادر وفاضل، ثم أردف:الآن وقد حصلتم على الختم الثالث، لم يتبق سوى الختم الرابع والأخير.

هذا الختم هو الأقوى والأكثر خطورة، وليس كما يعتقد ناركيل بأن الختم الثالث هو الأقوى.

إنه يكمن في قلب 'جبال الصقيع الأبدية'، وهي منطقة لم يجرؤ أحد على دخولها والعودة منها حياً.

إنها موطن لمخلوقات جليدية لا تعرف الرحمة، ومتاهات جليدية لا نهاية لها.

لكن الأهم من ذلك، أن الختم الرابع ليس مجرد بلورة، بل هو قلب العالم، وهو مصدر قوة أولد بأكملها.

من يسيطر عليه، يسيطر على كل شيء.

كانت كلمات كياتسو تثير الرهبة في قلوب الأبطال.

جبال الصقيع الأبدية! مجرد اسمها كان يوحي بالخوف والخطر.

لكنهم كانوا يعلمون أنهم لا يملكون خياراً آخر.

يجب عليهم الحصول على الختم الرابع قبل ناركيل.

سأل فاضل: هل هناك أي معلومات أخرى عن هذا الختم؟ أي طريقة للوصول إليه؟

ساد صمت مهيب في الخيمة. قبل أن تفكروا في الذهاب، أكمل كياتسو بابتسامة غامضة، هناك مكان يجب أن تروه أولاً.

استقل الأبطال الثلاثة ومعهم كياتسو عربة دفع هوائية انطلقت بهم نحو الأبراج الشاهقة، لكنها سرعان ما انعطفت إلى طريق جانبي قادهم إلى مشارف قرية مهجورة ومحاطة بسور ضخم من الحجارة السوداء. تتخلله أبراج مراقبة مهدمة، وبوابة كبيرة مكسورة تتدلى منها أخشاب متفحمة.

عمّت المكان رائحة الغبار والخراب، وقلوب الأبطال مملوءة بالرعب والترقب.

أهلاً بكم في قبيلة شعب الريح الحقيقية، قال كياتسو، ثم نزل من العربة وصاح بأعلى صوته بلغة غريبة. فجأة، خرجت من بين الصخور مخلوقات ظلّية شفافة، عيونها تلمع بضوء خافت.

كانوا حراس الأبراج.

رحب الحراس بالزعيم والأبطال، وقادوهم إلى كهف كبير خارج القرية.

هناك، بدأ الحكماء يشـــرحون تاريخهم. كانوا هم شـــعب الريح الأصـــليين، المكلفين بحماية الأبراج.

لكن بعد الانشـقاق، تعرضـوا للقتل والدمار على يد أتباع ناركيل، ولم يبق منهم سـوى قلة هربوا واختبأوا في هذه الكهوف.

أثناء حديث الحكماء، كانت الأفكار تتضـــارب في عقل نور. بدا وكأنه يعرف المكان، كأن ذكريات قديمة ومؤلمة بدأت تعود إليه.

عندما ذكر الحكماء اسم عائلته كواحدة من العائلات التي أبيدت في الهجوم، انهار نور.

لقد تذكر كل شيء. هذه هي قبيلته الأصلية. كان صغيراً أثناء الهجوم، وشاهد مقتل عائلته أمام عينيه، الصدمة أفقدته القدرة على الكلام، وهرب ليجد ملجأً عند قبيلة حراس المحرقة.

صرخ نور صرخة مدوية، مزيجًا من الحزن والغضب، وسقط على ركبتيه.

هرع فاضل ونادر لتهدئته، لكنهما أدركا أن نارًا جديدة قد اشتعلت في قلب صديقهم، نار انتقام شخصي لن تهدأ إلا بموت ناركيل.

بعد أن هدأت عاصـــفة مشـــاعر نور، قاد الحكماء الأبطال إلى مكتبة القرية. كانت كهفًا ضـــخمًا، جدرانه محفورة بالرموز، ورفوفه مليئة بالمخطوطات القديمة. أخرج أحد الحكماء كتابًا مغبرًا، وبدأ يقرأ لهم عن الطريق إلى الختم الرابع، قلب العالم.

لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال 'ممر الهمسات الجليدية'، شرح الحكيم. وهو ممر سري لا يظهر إلا في ظروف معينة، ويتطلب مفتاحًا خاصًـا لفتحه: 'نجمة الشـمال'، وهي بلورة جليدية نادرة تظهر مرة واحدة كل مائة عام في أعلى قمة في جبال الصقيع.

والبلورة الجليدية تحت حماية 'حارس الجليد'، وهو كائن أسطوري لا يقهر.

ثم أخرج الحكيم خريطة قديمة، تصـــف أماكن المخطوطات الأربع وكل المعلومات عنها. أخذها فاضـــل وقال متأســـفًا: لو كانت هذه معنا منذ البداية... ابتســـم كياتســـو: ما زلت تحتاجها. الطريق الأصعب لم يأتِ بعد.

*****

في هذه الأثناء، في معقله المظلم، كان الغضـــب يشـــتعل في عيني ناركيل. لقد وصـــلته أنباء هزيمة زارثوس وأسر مالك.

كيف يجرؤون! زمجر، وصـوته يرتجف من شـدة الغضـب. لقد دفعوا الثمن غالياً، وسـيدفعون أضعافاً مضاعفة! كان يعلم أن الوقت ليس في صالحه.

أمر بتجهيز جيش جديد، أكبر وأكثر شراسة، بقيادة جنرالاته الأكثر ولاءً.

كانت خطته هذه المرة أكثر دهاءً ووحشـــية، فقد تعلم من أخطائه الســـابقة، ولن يترك أي فرصة للنجاة.

كان يعلم أن الأبطال سيتجهون نحو جبال الصـقيع الأبدية، فقد كانت هي الوجهة المنطقية للحصول على الختم الرابع.

*****

عاد الأبطال إلى قرية شعب الريح البشرية، ومعهم المعلومات الجديدة والخريطة. كان نادر لا يزال يعاني من صدمة موت عمه، وخيانة مالك.

كان يجلس وحيداً، يحدق في الفراغ، صور الماضي تتراقص أمام عينيه.

يتذكر ضحكات عمه، ونصائحه، والأحلام التي تشاركاها.

ثم تتحول الصور إلى وجه مالك المبتسم، وكلماته الخادعة، وخيانته التي مزقت قلبه.

شعر بغضب عارم يجتاحه، رغبة في الانتقام، في جعل مالك وناركيل يدفعان ثمن ما فعلاه.

لكنه كان يعلم أن الغضب وحده لن يكفي.

يجب أن يكون قوياً، ذكياً، ومستعداً لكل شيء.

اقترب منه فاضل، ووضع يده على كتفه. أعلم ما تمر به يا نادر، قال فاضل بصوت هادئ، لكن يجب أن تكون قوياً.

نظر نادر إلى فاضل، ورأى في عينيه دعماً لا يتزعزع.

كان فاضل دائماً بجانبه، صديقاً ورفيقاً في هذه الرحلة الجنونية.

ثم انضم إليهما نور، الذي كان يراقب المشهد بصمت.

المعركة القادمة ستكون مختلفة، قال نور، ناركيل لن يرتكب نفس الأخطاء.

يجب أن نكون مستعدين لكل شيء.

يجب أن نتدرب، أن نصبح أقوى، أن نتعلم كيف نستخدم قدراتنا بشكل أفضل.

كانت كلمات نور كالجرس الذي أيقظ نادر من سباته.

قال فاضل، وعيناه تحدقان في نادر بجدية: أنت محق يا نور.

لقد فقدنا العم أحمد، وهذا جرح لن يندمل.

لكننا سنعمل المستحيل لكي لا نفقد سيرين أيضاً.

هي أملنا الأخير، ومفتاح إيقاف ناركيل.

كانت كلماته تهدف إلى ربط الخسارة الحالية بالهدف الأكبر، وتذكير نادر بأن هناك ما هو أهم من الغضب الشخصي.

يجب أن يتدربوا، أن يصبحوا فريقاً لا يقهر.

كانت العلاقة بين الأبطال قد تعمقت بشكل كبير بعد كل ما مروا به.

لقد أصبحوا أكثر من مجرد رفاق، أصبحوا عائلة.

كانت لحظات الضعف التي مروا بها قد كشفت عن نقاط قوتهم، ولحظات الانتصار قد وحدت قلوبهم.

كانوا يعلمون أنهم بحاجة إلى بعضهم البعض أكثر من أي وقت مضى لمواجهة التحديات القادمة.

بدأ الأبطال في التدريب الشاق تحت إشراف نور وكياسو.

تعلموا كيف يستخدمون قدراتهم بشكل متكامل، وكيف يقاتلون كفريق واحد.

فاضل، بقوة البلورة الزرقاء، تعلم بمساعدة من نور كيف يتحكم في الظليين بشكل أكثر فعالية، وكيف يستخدمهم كدروع أو كقوة هجومية.

نادر، بقوة البلورة الحمراء والخضراء، تعلم كيف يوجه طاقة الهواء بشكل أكثر دقة، وكيف يخلق دوامات هوائية قوية، وكيف يستخدمها للدفاع أو للهجوم.

نور، بمهاراته القتالية الفائقة، كان يدربهم على القتال اليدوي، وكيفية استخدام البيئة لصالحهم.

كان كياتسو يزودهم بالمعلومات عن جبال الصقيع الأبدية، وعن المخلوقات التي تعيش هناك، وعن الفخاخ التي قد يواجهونها.

كان كل يوم يمر يزيدهم قوة وعزيمة، ويقربهم خطوة من هدفهم النهائي.

كانوا يعلمون أن الرحلة إلى جبال الصقيع الأبدية ستكون الأصعب على الإطلاق، لكنهم كانوا مستعدين لمواجهة أي شيء يقف في طريقهم.

الفصل

الثاني عشر

بعد أن أتم الأبطال تدريباتهم الشـاقة، واسـتوعبوا كل معلومة عن جبال الصـقيع الأبدية، أصبحت عزيمتهم أصلب من الجليد.

في صـباح يوم مشـرق، وقفوا أمام كياتسـو، الذي أذن لهم بالذهاب بعد أن زودهم بكل ما يحتاجونه.

كانت المؤن وفيرة، والأسلحة الخفيفة تتدلى من أحزمتهم.

نور، ببراعته، كان قد صـمم لهم ملابس خاصـة من فراء المخلوقات الجليدية، تقيهم شـدة البرد القارس.

أما عربة الهواء، فكانت تنتظرهم، هياكلها الخشبية المصقولة تتلألأ تحت أشعة الشمس.

ودعهم كياتسو بابتسامة حكيمة، متمنياً لهم التوفيق في مهمتهم.

انطلق الأبطال، قلوبهم مليئة بالإيمان، وخطاهم ثابتة نحو المجهول.

استقلوا عربتهم الهوائية، التي انطلقت بسرعة مذهلة بفضل قدرة نادر الفائقة على التحكم في طاقة الهواء.

كانت العربة تشق طريقها عبر السماء، تتخطى الجبال الشاهقة والوديان السحيقة.
في غضـون سـاعات، قطعوا مئات الأميال، تاركين وراءهم دفء السـهول الخضـراء. بدأت نسمات هواء باردة تداهمهم، تزداد حدتها مع كل ميل يقطعونه.

ارتجف فاضـل، وقال وفمه يهتز من شـدة البرد: هل قاربنا من الوصـول يا نور؟ ضـحك نور ساخراً، لم نقطع حتى نصف الطريق بعد! ثم أردف: ارتدوا الملابس الواقية الآن، فما ينتظرنا أشد قسوة.

امتثلوا لأمره، وشعروا ببعض الدفء يتسلل إلى أجسادهم، لكن البرد كان يزداد شراسة، وكأنه يرحب بهم في مملكته الجليدية. مع غروب الشمس، وجدوا أنفسهم في ظلام دامس، تقاومه مصابيحهم الزيتية التي سرعان ما أطفأتها الرياح العاتية.

هل ننصب خيامنا لنبيت ثم نكمل غداً؟ تساءل فاضل، صوته بالكاد يسمع وسط عواء الريح.

لا، قال نادر بعد صمت طويل، وصوته يحمل إصرارًا.

ليس لدينا وقت للمبيت. يجب أن نواصل.

انطلقوا غير آبهين بالظلام، يسترشدون بحدسهم وعزيمتهم.

وبعد مسافة قصيرة، ظهر القمر كاملاً، يلقي بضوئه الفضي الساحر على المشهد الجليدي، وكأنه يلقي عليهم التحية.

بعد مسيرة طويلة وشاقة، بدأت قمم جبال الصقيع الأبدية تلوح في الأفق، كأنها أشباح عملاقة ترتفع نحو السماء، مغطاة بطبقات سميكة من الثلوج التي تتلألأ ببريق أزرق خافت.

لقد اقتربنا، بشرهم نور.

فجأة، ظهرت أمامهم كائنات ظلّية شفافة، تتراقص في ضوء القمر، عيونها تلمع ببريق أزرق بارد. كائنات ظلّية تائهة! صرخ نور.

لكن فاضل، بدلاً من الخوف، تقدم بهدوء.

بدأ يتلو آيات من القرآن بصـــوت خاشـــع، بينما كانت بلورته الزرقاء تطلق ومضـــات من الضـــوء. ســـرعان ما أظهرت الكائنات الظلّية إذعانها، وتراجعت ببطء، وكأنها تنجذب إلى النور الذي يشع من فاضل.

ثم، ولدهشـــة الجميع، تحدث أحدهم بلغة يفهمونها: وجهتكم هي جبال الصـــقيع الأبدية للحصول على نجمة الشمال، أليس كذلك؟

من أين لك هذه المعلومات؟ سأل نادر مستغربًا.

أنتم بشر أنقياء، وقصتكم تسبقكم.

لكنكم تسيرون في الاتجاه الخاطئ نحو جبل حوران. الطريق إلى جبال الصقيع حيث تكمن نجمة الشمال من هنا، قال الظلّي، مشيرًا بيده باتجاه الشمال.

ابتســـم نور، وقال: أعرف الطريق جيداً، فلدينا خريطة. لكننا أوقفنا العربة قبل القتال معكم.

تقدم الظلّي الذي بدا وكأنه يعرف كل شـبر في هذه الجبال، يقودهم عبر الطريق الصـحيح. اسمي سيدرك، قال بصوت هادئ كحفيف الريح.

وهؤلاء اصدقائي. سنرشدكم وسنكون عونًا لكم.

كان سيدرك يروي لهم قصصًا عن المخلوقات التي تعيش هنا: عن الدببة الجليدية الضخمة التي تنام في الكهوف، والذئاب البيضاء الشبحية التي تصطاد في صمت، وعن طيور الجليد التي تحلق في السماء، عيونها تترصد أي حركة.

كانت هذه القصص تزيد من حذرهم، وتذكرهم بأنهم ليسوا وحدهم في هذا العالم القاسي.

أصبح العمل الجماعي هو مفتاح بقائهم.

فاضل، بقدراته الجديدة، كان يرسل الظلّيين التائهين ككشافة، يتسللون بصمت عبر الشقوق الجليدية ويعودون بمعلومات قيمة عن الطريق.

نادر، بقوة البلورة الخضراء، كان يستخدم طاقة الهواء لتخفيف تأثير الرياح العاتية، وخلق دروع هوائية مؤقتة تحميهم من تساقط الثلوج.

أما نور، فكانت عيناه تراقبان كل حركة، يحلل التضاريس، ويبحث عن أي علامات تدل على وجود فخاخ.

بعد مسير شاق، وصلوا إلى منطقة أكثر وعورة: متاهة حقيقية من الكهوف والأنفاق الجليدية، تتغير أشكالها باستمرار.

كان الضوء ينعكس على الجليد بألوان ساحرة، من الأزرق الفاتح إلى الأخضر الزمردي، لكن هذا الجمال كان يخفي خطرًا داهماً.

فجأة، سمعوا صوت زمجرة عميقة تردد صداها في الأنفاق.

ومن الظلام، ظهرت مجموعة من الكائنات الجليدية، تهاجمهم بعدوانية وشراسة.

كانت هناك دببة جليدية ضخمة، وذئاب شبحية تتسلل بخفة، وطيور جليد تنقض من السماء.

استعدوا! صرخ نور.

اندلعت معركة شرسة.

فاضل، بمساعدة الظلّيين، كان يشغل الكائنات الأصغر حجمًا. ونور وسيدرك كانا يقاتلان بمهارة فائقة، يصدان الهجمات بشراسة.

لكن نجم المعركة كان نادر.

بقوة البلورة الخضراء، أطلق العنان لدوامات هوائية قوية، كانت تطيح بالدببة الجليدية وتلقي بالذئاب الشبحية بعيدًا.

استخدم طاقة الهواء لخلق حواجز غير مرئية تصد هجمات الكائنات الجليدية، ووجه تيارات هوائية حادة كالشفرات تقطع أجنحة طيور الجليد.

كانت المعركة ملحمة من القوة والبراعة. أخيرًا، وبعد قتال عنيف، تراجعت بقية الوحوش ولاذت بالفرار، تاركة وراءها ساحة المعركة مغطاة بقطع الجليد المتناثرة.

هذه ليست إلا البداية، قال سيدرك وهو يلتقط أنفاسه.

لقد اقتربنا من منطقة حارس نجمة الشمال.

قادهم سيدرك إلى سفح قمة جليدية شاهقة، تبدو وكأنها تخترق السماء نفسها.

نجمة الشمال... في الأعلى، قال بصوت خافت.

والحارس... ينتظر.

كانت المهمة تبدو مستحيلة. المنحدرات كانت شبه عمودية، والجليد زلق، والرياح تكاد تقتلعهم من أماكنهم. بدأوا التسلق ببطء وثبات، مستخدمين الحبال والمعدات التي أحضروها معهم

فجأة، بدأت طيور الجليد بمهاجمتهم مرة أخرى. تولى نور وسيدرك مهمة تأمين الطريق، بينما كان نادر وفاضل يواصلان التقدم بصعوبة. في إحدى اللحظات، تمكن أحد الطيور من إصابة نادر في ساقه بجرح غائر.

صرخ نادر من الألم وكاد أن يسقط، لكن نور، بسرعة فائقة، أمسك به في اللحظة الأخيرة.

رغم الألم والإرهاق، وصلوا أخيرًا إلى القمة. كانت هضبة جليدية واسعة، يحيط بها صمت مطبق، والسماء فوقهم تبدو أقرب من أي وقت مضى.

كانت النجوم تتلألأ بوضوح غير عادي، وكأنها مجوهرات متناثرة على وشاح أسود.

بدأت الأضواء الشمالية تتراقص في السماء، بألوانها الخضراء والزرقاء والبنفسجية، تضيء القمة بجمال ساحر.

في قلب هذا المشهد البديع، بدأت بلورة جليدية صغيرة تتشكل ببطء في الهواء، تزداد حجماً وتألقاً، حتى أصبحت بحجم قبضة اليد، وتشع بضوء أزرق خافت.

كانت هذه هي نجمة الشمال.

اقترب منها فاضل بحذر، تغمره الفرحة، لقد حصلوا على مفتاح ممرات الهمسات الجليدية.

الفصل

الثالث عشر

اقترب فاضـــل من البلورة، اهتزت القمة، وارتفع من بين الشـــقوق الجليدية حارس الجليد. كان كائنًا مصـــنوعًا بالكامل من الجليد الشـــفاف، يبلغ طوله عشـــرة أمتار، وعيناه تلمعان بضوء أزرق بارد، وبيده مطرقة ضخمة يجرها خلفه.

أطلق الحارس صرخة جليدية، ثم زمجر بصوت كصوت انهيار جليدي ضخم: من يجرؤ على تدنيس قمتي، والسعي وراء قلب الشتاء؟

تقدم فاضـــل بثبات، رغم الخوف الذي يعتصـــر قلبه، قال بصـــوت واضـــح: نحن لســـنا هنا للتدنيس، أيها الحارس. نحن هنا من أجل نجمة الشـــمال، لنكمل مهمة ســـتعيد التوازن لهذا العالم.

ضحك الحارس ضحكة عميقة ومرعبة، كأنها صوت احتكاك جبلين جليديين. التوازن؟

كلمات كبيرة من كائنات فانية.

لقد سمعت هذه الأعذار من قبل. القوة هي كل ما تسـعون إليه. اقترب من فاضـل بشـكل كبير وحدق بعينيه الشـــريرتين في وجهه وقال: إن أردت نجمة الشـــمال، فأثبت جدارتك. واجهني في الميدان.

سأواجهك! صرخ فاضل بكل عزم.

لا! صرخ نادر، محاولاً النهوض رغم الألم الحاد في ساقه. فاضل، لا تكن أحمق! هذا انتحار!

التفت إليه فاضل، وفي عينيه نظرة هادئة وحازمة لم يرها نادر من قبل. أنت مصاب يا نادر. وهذه ليست معركة قوة، بل معركة إرادة. هذه معركتي.

التفت حارس الجليد إلى جنوده من الكائنات الجليدية. جهزوا ساحة المعركة، قال بصوت هادئ كصقيع الفجر. وضعوه ورفاقه في الزنزانة ليوم غد.

مرت عليهم ليلة عصيبة في زنزانة جليدية باردة.

كان الألم يشتد في ساق نادر، واليأس بدأ يتسلل إلى قلوبهم.

نهض فاضل وتيمم بالتراب وصلى ركعتين وناجى ربه، ثم غلبه النعاس.

في حلمه، ظهرت له سيرين. لا تخف يا فاضل، قالت بصوتها الرقيق. القوة تكمن في داخلك، وفي البلورات الثلاث. اجمع قواها.

البلورة الحمراء تمنحك الثبات، الزرقاء تمنحك المرونة، وبلورة الهواء تمنحك السرعة.

عندما تجمعها، ستصبح لا تقهر.

*****

في صباح اليوم التالي، اقتيد فاضل إلى ساحة المعركة، بينما وُضع البقية في أقفاص جليدية ليشاهدوا.

بدأ النزال. لم يندفع فاضل بهجوم أعمى. تذكر كلمات سيرين. استدعى طاقة البلورة الحمراء، وشعر بثبات الجبال يسري في قدميه، مما جعله راسخًا على الأرض الجليدية.

اندفع حيزوم، رافعًا مطرقته الهائلة. لكن فاضل، بدلاً من الصد المباشر، استدعى طاقة البلورة الزرقاء. تحرك بمرونة، يراوغ ضربات المطرقة المدمرة في اللحظة الأخيرة، كأنه يرقص مع الموت.

كان يستخدم قوة حيزوم ضده، يجعله يضرب الهواء والجليد، مما كان يثير غضبه ويفقده تركيزه.

أظهر فاضل بسالة لا مثيل لها، مما أثار إعجاب الحاضرين وحتى الحارس نفسه. لكن حيزوم كان كائنًا أسطوريًا. اشتد غضبه، وبدأت هجماته تصبح أسرع وأكثر وحشية.

بضربة خاطفة، نجح في كسر دفاع فاضل وأوقعه على الأرض.

كانت الكائنات الجليدية تشجع سيدها، بينما كان نادر يصرخ بقوة ويهز قضبان القفص، دموعه تنهمر بحرقة. بضربة قاضية، انهال حارس الجليد بمطرقته الضخمة على فاضل.

صرخ الجميع، واعتقدوا أنها النهاية.

لكن، بدلاً من سحق فاضل، توقفت المطرقة على بعد سنتيمترات من رأسه، محدثة موجة هوائية باردة.

مد حارس الجليد يده مبتسمًا. لقد نجحت في الاختبار أيها البطل! نهض فاضل مستغربًا: اختبار؟

نعم، قال الحارس. اختبار الحكمة والتضحية. لم تحاول هزيمتي بالقوة الغاشمة، بل استخدمت عقلك. وكنت مستعدًا للتضحية بنفسك من أجل رفاقك. تستحق نجمة الشمال.

اسمي حيزوم، قال الحارس. ويشرفني أن أوصلكم إلى ممر الهمسات الجليدية.

*****

في خضم فرحة الأبطال، اهتزت الأرض بعنف، وسمعوا أصوات انفجارات قادمة من أسفل الجبل. جيش ناركيل! صاح أحد قادة حيزوم. لقد وصلوا!

في الأسفل، كان مشهدًا مرعبًا.

جيش ضخم من الظلّيين المتطرفين، تقودهم مخلوقات جليدية ضخمة لم يروها من قبل، يبدو أنها تم تدريبها وتعديلها لتناسب هذه البيئة

. كانوا يطلقون قذائف جليدية متفجرة تسبب انهيارات صغيرة، ويتقدمون بسرعة نحو القمة. لقد أعد ناركيل فخًا محكمًا في الجبال، مستغلاً معرفته بأن الأبطال سيتجهون نحو نجمة الشمال.

علينا أن نتحرك بسرعة! صرخ حيزوم. يجب أن نصل إلى ممر الهمسات الجليدية قبل أن يحاصرونا!

*****

في نفس الوقت، كان الزعيم كياتسو يستجوب مالك الأسير.

لقد أخذوا أهلي رهينة، قال مالك بصوت متهدج، وعيناه زائغتان.

وهددوني بالقتل...قاطعه كياتسو ببرود: لقد سمعت هذه القصة من قبل.

الخونة دائمًا لديهم أعذار.

في اليوم التالي، انهار مالك تمامًا. بدأ يضرب باب زنزانته ويصرخ باسم كياتسو. عندما حضر الزعيم، تشبث مالك بقضبان الزنزانة، وعيناه تلمعان بالرعب الحقيقي. الأبطال في خطر!

صرخ بصوت يرتجف. لقد وصلتني رسالة مشفرة من ناركيل... إنه نظام طوارئ بيننا.

لقد أعد فخًا محكمًا لهم في جبال الصقيع. سيقضي عليهم هناك، ثم سيأتي لإنقاذي. أقسم لك بكل ما هو مقدس، هذه هي الحقيقة! إن لم تتحرك الآن، سيموتون جميعًا!

نظر كياتسو في عيني مالك. لم يرَ الخداع هذه المرة، بل رأى رعبًا حقيقيًا... رعب رجل يعلم أن نهايته قريبة إذا لم يتم إنقاذه.

كانت تفاصيل مالك دقيقة، وتطابقت مع بعض المخاوف التي كانت لدى كياتسو نفسه.

لم يكن هناك وقت للتردد. جهزوا الجيش! صرخ كياتسو. سننطلق فورًا!

أخذ معه مالك، ليس كثقة فيه، بل كورقة قد تكون مفيدة.

انطلقوا بأقصى سرعة، وفي طريقهم، انضم إليهم حراس الريح الحقيقيون. كانت هذه القوة الصغيرة تحمل في طياتها عزم أمة على استعادة حريتها.

الفصل

الرابع عشر

ندفع الأبطال، يتبعهم حيزوم وسيدرك، نحو الفجوة التي فتحها حارس الجليد في جدار ممر الهمسات الجليدية باستخدام نجمة الشمال.

خلفهم، كانت صرخات جيش ناركيل تقترب، وأصوات الانفجارات تهز الجبال. وما إن وطأت أقدامهم عتبة الممر، حتى انغلق الجدار الجليدي خلفهم بصمت مهيب، عازلاً إياهم عن الفوضى في الخارج.

كان الممر عالماً آخر بحد ذاته؛ لم يكن مجرد نفق جليدي، بل متاهة ساحرة من الكهوف المتشابكة، تتلألأ جدرانها ببريق أزرق خافت ينبعث من بلورات متوهجة. كانت أصوات همسات تتردد في الأرجاء، كأنها قصص منسية تروي نفسها عبر الزمن.

تقدم حيزوم بثقة، يوجههم عبر المتاهات المعقدة ببراعة. وبعد مسير طويل، بدأت الأنفاق تتسع، وتلاشت الهمسات الغامضة. قادهم حيزوم إلى مخرج الممر، الذي أطل على سهل جليدي شاسع تحيط به قمم تتوهج بضوء أزرق أبدي. وفي قلب ذلك السهل، انتصبت بنية جليدية ضخمة تشبه المعبد، تتلألأ بآلاف الألوان.

قال حيزوم بصوت مهيب: "هذه هي بوابة الأسرار... هنا يكمن الختم الرابع."

لكن الوصول إليه لم يكن سهلاً؛ فقد كانت البوابة محمية بحراس قدامى، أرواح الجليد التي أقسمت على حماية الختم.

اقترب الأبطال من البوابة، فشعروا بطاقة هائلة وباردة تنبعث منها. فجأة، تشكلت أمامهم ثلاثة أشكال شفافة من قلب العاصفة الثلجية، تتوهج بضوء أزرق حاد. كانت أرواح الجليد. لم يتحدثوا، بل أطلقوا صرخات اخترقت العظام، ثم اندفعوا للهجوم بسرعة تفوق الوصف، مطلقين شظايا جليدية كالنصال.

"استعدوا!" صرخ نور.

اندلعت معركة عارمة، لكن الأرواح كانت غير مادية؛ تخترقها السيوف وتمر عبرها الدوامات الهوائية التي أطلقها نادر دون أن تتأثر. كل هجوم جسدي بدا بلا جدوى، بينما كانت ضرباتهم حقيقية ومؤلمة.

"إنهم لا يُلمَسون!" صاح سيدرك وهو يراوغ شظية كادت تخترق كتفه.

قاتل حيزوم بقوة، محطماً الأرض بمطرقته ليخلق حواجز جليدية، لكن الأرواح كانت تمر عبرها ببساطة. بدا الموقف يائساً.

في خضم الفوضى، تراجع فاضل للحظة، محاولاً التفكير. القوة لا تجدي نفعاً. تذكر كلمات أحمد عن أبراج الصمت التي تختبر الروح قبل الجسد، وتذكر كيف نجح في اختبار حيزوم بالحكمة لا بالقوة. ثم تذكر كلمات سيرين في حلمه السابق: "النار لا تحرق إلا ما هو زائف."

ربما هذه الأرواح ليست شراً حقيقياً، بل اختبار من نوع آخر.

"توقفوا عن القتال!" صرخ فاضل فجأة.

نظر إليه الجميع بدهشة. "هل جننت؟ إنهم سيقتلوننا!" صاح نادر.

لكن نور قال بحزم: "علينا أن نحميه... إنه يخطط لشيء ما."

شكل نور وحيزوم وسيدرك جداراً دفاعياً حول فاضل، يصدون ويتفادون الهجمات بكل ما أوتوا من قوة، يشترون له وقتاً ثميناً. أما نادر، فكان يطلق تيارات هوائية ليزعج الأرواح ويشتت انتباهها.

وقف فاضل في قلب الدائرة الواقية، وأغلق عينيه، متجاهلاً أصوات القتال. لم يستخدم قوة البلورات للهجوم، بل فعل شـــيئاً مختلفاً. بدأ يتلو آيات من القرآن الكريم بصـــوت هادئ وواثق، وانبثقت من البلورة الزرقاء هالة نورانية، ليســـت هجومية بل مســـالمة، تنبض بالنقاء والطمأنينة.

"نحن لا نريد إيذاءكم... نحن نســـعى لإعادة التوازن. عالمكم يموت، وعالمنا في خطر. نحن أملكم الأخير."

بدأت الأرواح تتباطأ، توقفت هجماتها، وبدأت تحوم في مكانها كأنها تنصـت لصـدى كلماته الصـادقة. ثم تجمعت حوله، وانجذبت إلى طاقته النقية، قبل أن تتلاشـى ببطء، تاركة وراءها البوابة الجليدية مفتوحة على مصـــراعيها. كان هذا انتصـــارًا مختلفًا... انتصـــارًا بالإيمان والتفاهم.

دخل الأبطال عبر البوابة، ليجدوا أنفسهم في غرفة جليدية ضخمة ومهيبة. في قلبها، كانت بلورة الروح تطفو في الهواء، تتوهج بضـوء أبيض سـاطع ينبض بالحياة، وينبعث منها شـعور بالسلام والقوة المطلقة. كان هذا هو الختم الرابع، قلب العالم.

اقترب فاضـل من البلورة، وشـعر بطاقة هائلة تتدفق نحوه، طاقة الأختام الأربعة مجتمعة. مد يده المرتجفة نحوها، وبمجرد أن لمسـها، انبعث منها ضـوء أبيض غمر الغرفة بأكملها. شـعر فاضل بأن روحه تتحد مع البلورة، وأن قوى الأختام لم تعد مجرد أدوات، بل أصبحت جزءاً منه. لم يعد يسـيطر على الظل أو الهواء، بل أصـبح يفهم جوهرهما، يرى خيوط الطاقة التي تربط كل شيء في هذا العالم. كانت هذه هي اللحظة المنتظرة... لحظة اكتمال القوة.

لكن الفرحة لم تكتمل. اهتزت الغرفة بعنف، وسمعوا أصـــوات خطوات مدوية وثقيلة تقترب من المدخل. لم تكن خطوات جيش ناركيل، بل شـــيئًا مختلفًا... أضـــخم وأكثر رعبًا. تجمد الأبطال في أماكنهم، وظهر عند المدخل ظل عملاق يملأ المكان. لم يكن ناركيل... بل وحش جليدي هائل، أكبر حتى من حيزوم، عيونه تتقد بضـــوء أزرق حاقد، وأنيابه الجليدية تقطر صقيعًا.

الفصل

الخامس عشر

انطلق الضوء الساطع الذي ملأ سماء المنطقة بأسرها عندما لمس فاضل البلورة، ضوءٌ أزرق متوهج، كأنه نبض قلب العالم، أعلن عن اكتمال الأختام الأربعة.

كان هذا الضوء إشارة، صرخة ميلاد لقوة جديدة، وصرخة إنذار لأولئك الذين يخشون النور.

في قلعة الظلام، حيث يتربع ناركيل على عرشه، ارتعدت الجدران، وتصدعت الأبراج، ليس بفعل زلزال، بل بفعل غضب ناركيل الذي اشتعل كجحيم لا يرحم. كان وجهه مشوهاً، عيناه تشتعلان بلون أحمر قاني، وشرايين رقبته تنتفخ كالحبال. زمجر زمجرة مدوية هزت أركان القلعة، صوته يحمل وعيداً بالدمار، كأنه وحش أسطوري استيقظ من سباته.

صاح، قبضته تسحق مسند العرش الجليدي.

لقد حصلوا على الختم الرابع! هذا مستحيل!

أمر ناركيل جنوده بهدم قلعة حيزوم حارس الجليد، للانتقام منه على مساعدته للأبطال.

اندفعت جحافل من الظليين، كالسيل الأسود، تعيث فساداً في كل زاوية، محولة القلعة الشامخة إلى ركام من الجليد والحجارة.

ثم، وبصوت خفيض، لكنه يحمل ثقلاً كالجبال، أمر ناركيل نخبة جنوده، "الصيادون!" هؤلاء هم أفراد وحدته الخاصة، الأشد فتكاً وخبثاً،

تتبعوا هؤلاء البشر، أحضروهم لي أحياءً أو أمواتاً! لا أريد أن أرى وجوهكم إلا ومعكم رؤوسهم!

(عاد ناركيل إلى مملكته، قلبه يحترق بنيران الغضب الأسود. ما إن وطأت قدماه عاصمة مملكته، مدينة الظلام الأبدية، حتى أمر باجتماع طارئ ومستعجل.) اجتمع كبار القادة والوزراء، وجوههم شاحبة، يدركون أن غضب سيدهم يعني حرباً لا هوادة فيها.

"أعلن الحرب!" دوى صوت ناركيل في القاعة، "حرب شاملة على عالم النور!"

أمر بتجهيز الجيش بالكامل، جيش الظلام الذي لم يخرج بكامل قوته منذ سنين طويلة.

ذكر هذه المرة "قوات المهام الخاصة"، كتائب النخبة التي لم يستدعها من قبل، والتي تضم "الظلال الصامتة"، قتلة لا يرحمون يتسللون في الظلام. والعمالقة السود، محاربون ضخام بقوة خارقة.

أمر بتجهيز أقوى وأحدث الأسلحة، حتى "أسلحة الدمار الشامل"، تلك التي كانت تصنف كـ "أسلحة الملاذ الأخير"، والتي تطلق طاقة ظلامية قادرة على محو مدن بأكملها.

هذا يعني أنه يستعد لحرب كبرى لا مثيل لها، حرب لن تبقي ولن تذر.

جيش الظلام استُدعي بكامل قوته

جحافل الظليين: المشاة الأساسيون، أعدادهم لا تحصى، يتقدمون كالسيل الأسود، مزودون بدروع خفيفة وسيوف حادة.

فرسان الظلام: نخبة من الظليين يمتطون مخلوقات طائرة ضخمة تشبه الغربان، قادرة على الهجوم الجوي السريع وإلقاء قذائف ظلامية.

كتائب السحرة السود: مجموعة من السحرة الأقوياء الذين يطلقون تعويذات الظلام، ويستدعون وحوشاً ظلية، ويخلقون حواجز سحرية.

الظلال الصامتة: قتلة متخفون، يستخدمون الخناجر المسمومة والسهام الصامتة، قادرون على التسلل خلف خطوط العدو.

العمالقة السود: محاربون ضخام، يبلغ طول الواحد منهم ثلاثة أمتار، يحملون مطارق ضخمة، وقادرون على تدمير الجدران والحصون.

أسلحة الملاذ الأخير: قذائف طاقة ظلامية مركزة، تطلق من منصات خاصة، قادرة على إحداث دمار شامل في منطقة واسعة.

كان جيش ناركيل قوة لا يستهان بها، جيشٌ أعد للسيطرة على كل شيء، ولن يتوقف حتى يحقق هدفه.

*****

عندما رأى كياتسو الضوء الساطع الذي انبعث من جبال الصقيع الأبدية، انفرجت أساريره بالفرح، وشعر بالطمأنينة تملأ قلبه بعد أن عصف به القلق على الأبطال. كان يعلم أن هذا الضوء يعني أنهم نجحوا، وأنهم حصلوا على الختم الرابع.

أمر كياتسو بإيقاف جيشه الذي كان يتقدم نحو جبال الصقيع.

"توقفوا!" صاح، صوته يتردد في السهل. لقد نجح الأبطال! كانت غايتنا هي إنقاذهم، أما وقد نجوا، فلا داعي لمواصلة المسير.

نحن لسنا نداً لجيش ناركيل في معقله. أمر جيشه بالعودة إلى القبيلة، وقلبه يملؤه الأمل.

بعد وقت قصير، أمر كياتسو مالك قائلاً: مالك، أريدك أن ترسل رسالة إلى ناركيل. قل له أنك هربت منا، وأنك تريد أن تعرف خطته. حاول أن تتجسس عليه، واكتشف ما الذي يخطط له.

فعل مالك ما قاله كياتسو، وأرسل الرسالة. انصدم مالك عندما جاءه الرد من ناركيل، ليس مجرد رد، بل خطة مفصلة.

كان ناركيل يجهز جيشاً جراراً، ليس للقضاء على الأبطال فحسب، بل لغزو مملكة النور، مملكة الظليين الطيبين، وفتح البوابة الكبرى.

أدرك كياتسو أن مالك لم يكن يكذب، وأن ناركيل كان يخطط لشيء أكبر بكثير مما تخيلوا.

كانت الرسالة تحتوي على معلومات حساسة جدا، مما أكد لكياتسو صدق مالك.

كانت الرسالة تتضمن تفاصيل دقيقة عن تحركات جيش ناركيل، وأهدافه، وحتى نقاط ضعفه. أدرك كياتسو أن مالك كان يضحي بنفسه لإنقاذهم، وأن ولائه الحقيقي كان لعالم الظل.

*****

اقتربت خطوات الكائن الضخم شيئاً فشيئاً، حتى وصلت إليهم.

كان صوته يدوّي كهدير الرعد، يهز المكان من حولهم، حتى شعروا بأن الجبال ستنهار عليهم.

"من يجرؤ على اقتحام مملكتي وسرقة مخطوطتي؟" صاح، صوته يملؤه الغضب.

لكن حيزوم وقف شامخاً، لم يهتز له رمش، وصرخ بأعلى صوته، صوت يملؤه الثقة: ليسوا إلا البشر الأنقياء الذين جاءوا لإعادة التوازن إلى هذا العالم أيها القائد حوران! البشر الذين كنت تنتظرهم منذ وقت طويل، ومعهم المخطوطات الأربع الآن!

القائد حوران، حامي ختم الأرواح، كان كائناً ضخماً، أكبر من حيزوم بأضعاف مضاعفة. لم يكن مثل بقية الظليين، ولا حتى مثل حارس الجليد. كان يشبه غوريلا عملاقة، مغطاة بفرو كثيف بلون الجليد، وعضلاته تبرز تحت جلده كالصخور المنحوتة. كانت عيناه تلمعان بلون أزرق عميق، تحملان حكمة آلاف السنين.

تقدم نادر وفاضل، ومعهما المخطوطات الأربع.

نظر حوران إليهما بتفحص شديد، كأنه يقرأ أرواحهما. وما إن لبث حتى انحنى لهما ترحيباً وتقديراً، بصوته العميق الذي يبعث الطمأنينة:

"أهلاً وسهلاً بكم أيها الأبطال الأنقياء في مملكتي! لقد انتظرتكم طويلاً."

ثم رحب بحيزوم وشكره على مساعدتهم. "الآن، أكملوا مهمتكم، فالوقت ينفد." قال حوران، صوته يحمل إلحاحاً.

شكره الأبطال كثيراً وهموا بالمغادرة. "انتظروا قليلاً." قال حوران بصوته الضخم، ثم غاب قليلاً وعاد ومعه كتاب صغير بالنسبة له، لكنه كان كبيراً جداً بالنسبة لفاضل ونادر. "هذا الكتاب جزء لا يتجزأ من المخطوطات. خذوه معكم، سيفيدكم. ولكن حذارِ من أن تفتحوه إلا عندما تشتد عليكم الصعاب، ولا يوجد حل للمشكلة. فقط افتحوه باستخدام ختم الروح." شكره الأبطال مجدداً وهموا بالمغادرة.

ثم تكلم حوران مجدداً، صوته يحمل نبرة حزينة: "ألا تريد أن ترى سيرين يا فاضل؟" ارتجف فاضل عندما سمع اسم سيرين، وقال بصوت مرتجف، بالكاد مسموع: "سيرين؟ من أين تعرفها؟" تكلم حوران بهدوء: "أعرفها جيداً."

ثم لوح بيده أكثر من مرة، وشكل ما يشبه الكرة الزجاجية المتوهجة، فظهرت سيرين بداخلها، كأنها في تلفاز سحري. انصدم فاضل، عيناه تتسعان ذهولاً.

"إنها مختلفة عن التي كانت تأتيني في الأحلام!"

ابتسم حوران ابتسامة حكيمة: "تلك لم تكن سوى أحلام يا فاضل. فكيف لعقلك أن يستطيع تكوين صورة لشخص لم يره مسبقاً؟" راجع فاضل نفسه، وبقي يحدق بها، فقد كانت جميلة جداً، جمالاً يكسر القلب. كانت تقبع داخل سجن مظلم، ليس فيه سوى فتحات قليلة من السطح، بالكاد تسمح بدخول بصيص من الضوء. كانت تناجي ربها، وعيناها مليئتان بالدموع، دموع الألم واليأس.

عم الصمت المكان قليلاً، صمت ثقيل كالجبال. ثم قال حوران، صوته يحمل نبرة حزينة: "إنها فتاة مسكينة. منذ أن جاءوا بها إلى هنا وهي على هذا الحال، تبكي وترفع يديها وتطلب المساعدة. لا أدري من أين ومِن مَن."

سقطت الدموع من عيني نادر على عمته المسكينة، دموع حارة ممزوجة بالغضب والعجز. أما فاضل، فقد كانت عيونه كالسيل، تذرف الدموع بغزارة على هذه الروح البريئة.

ثم تكلم فاضل، صوته يخنقه البكاء: "إنها تطلب العون من مصدره الحقيقي!" وأخذ ينشج، والدموع تنهمر على خديه. ثم سأل، صوته يملؤه اليأس: "أين هي الآن؟ وكيف يمكنني الوصول إليها؟"

تكلم حوران: "إنها في الجزيرة المعلقة."

فاضل باستغراب: "الجزيرة المعلقة؟"

"نعم." قال حوران، "مكان صعب الوصول إليه، كما أن جنود ناركيل يملأون المكان."

ثم أكمل: "لكن لا تقلقوا، لدي وسيلة ستمكنكم من الوصول إليها بسهولة."

ثم لوح بيده وأخرج لهم سجادة، لكنها لم تكن سجادة عادية. كانت سجادة منسوجة من خيوط الضوء، تتوهج بلون أزرق سماوي.

"هذه السجادة ستحملكم إليها بسرعة. فهي ليست مجرد سجادة كما ترونها، بل إنها كائن حي يتنفس ويشعر مثلكم."

تكلم نادر، صوته يملؤه القلق: "وماذا عن ناركيل؟ أين هو الآن؟ وما الذي سيفعله؟"

صمت حوران قليلاً، ثم حرك يده من جديد، وظهرت لهم مملكة ناركيل، وجيشه يحتشد للحرب.

كان المشهد مهيباً، جيش لا يحصى، يمتد على مد البصر، دروعهم تلمع في الظلام، وأصواتهم تدوّي كهدير العواصف.

صدم فاضل ونادر من المشهد، عيونهما تتسعان ذهولاً، يدركان حجم الكارثة القادمة.

تكلم حوران، صوته يحمل نبرة تحذير: "أنتم مقبلون على معركة شرسة. أتمنى لكم التوفيق."

جن جنون الأبطال. ما الذي سيفعلونه الآن؟ هل يذهبون لإنقاذ سيرين، أم يذهبون لمواجهة ناركيل؟ كان شعوراً ممزقاً، صراعاً بين الواجب والمشاعر، بين إنقاذ من يحبون ومواجهة الخطر الأكبر الذي يهدد عالمهم.

فجأة، يتكلم فاضل بحزم، صوته يملؤه العزم: "أظن أننا سنفترق هنا يا نادر." وربت على كتفه. "أعلم أنك مصاب، وما زالت رجلك تؤلمك، لكن ما باليد حيلة. ستأخذ هذا الكتاب والمخطوطات الأربع معك، وتذهب أنت ونور بالبساط إلى الجزيرة المعلقة لإنقاذ سيرين. أما أنا، فسأذهب إلى الملك حكيم، ملك مملكة النور (مملكة الظليين الطيبين)، وأخبره بالأمر، ونعد العدة لمواجهة ناركيل.

" ثم تكلم حيزوم: "وأنا سأساعدك بالخروج من هنا."

أما سيدرك، فقد اعتذر بأنه لا يستطيع مغادرة جبال الصقيع لأسباب لم يوضحها.

لكن نادر رفض الفكرة، وقال: "سيرين رغم أنها عمتي، إلا أنك أقرب لها مني، وستكون المهمة أسهل لك. كما أنك أذكى وأقوى مني في استخدام النور البشري، ولديك قدرة في السيطرة على الظليين التائهين لجعلهم في صفك. أنت أكثر من سينجح في المهمة."

وقبل أن يذهبوا، نطق حوران، ولكن هذه المرة كان خطابه موجه لحيزوم: "ألا تريد أن ترى قلعتك؟"

اهتز حيزوم وارتعد مما سمع. "قلعتي؟ وهل حل بها مكروه؟" قال حيزوم، صوته يملؤه القلق.

حرك حوران يده كما فعل سابقاً، ثم أظهر قلعة حيزوم وهي مدمرة وخاوية على عروشها، مجرد أنقاض.

"لقد انتقم منك ناركيل بسبب مساعدتك للأبطال."

زمجر حيزوم، والغضب يملأ عينيه، وهمّ بالذهاب لأخذ ثأره من ناركيل.

لكن حوران أوقفه، وقال له بحكمة: "لا ينفع الحسرة الآن. مساعدتك للأبطال أهم. يجب أن تذهب مع نادر لمواجهة ناركيل."

ودع الأبطال بعضهم بعضاً توديعاً حاراً، عناقاً طويلاً، وكلمات قليلة، لكنها حملت كل معاني الأخوة والوفاء. كانت عيونهم تلمع بالدموع، لكنها كانت دموع عزم وإصرار. كل منهم يعرف أن طريقه محفوف بالمخاطر، لكنهم يثقون ببعضهم البعض، ويعلمون أنهم يقاتلون من أجل قضية أكبر منهم جميعاً.

الفصل

السادس عشر

بعد أن اتخذ الأبطال قرارهم المصيري، وتوزعت دروبهم بين إنقاذ سيرين وحشد مملكة النور، استعد فاضل ونور لرحلتهما نحو الجزيرة المعلقة. طلب حوران منهما البقاء للحظات، ثم لوح بيده بحركة ساحرة، فإذا بالهواء يتكثف أمامهما، ويرسم صورة ثلاثية الأبعاد للجزيرة المعلقة بكل تفاصيلها.

لم تكن مجرد صخرة عائمة في السماء، بل كانت عالماً قائماً بذاته، تتخلله وديان عميقة وشقوق صخرية حادة، وتتوجها قلعة شامخة، بنيت من صخور داكنة، تتناثر أبراجها المدببة كأنياب وحش عملاق.

شرح حوران ببراعة فائقة مداخل القلعة ومخارجها السرية، كاشفاً عن نقاط الضعف في تحصيناتها. وصف لهم عدد الجنود الظليين وأنواعهم، من الحراس الصامتين الذين لا يغمض لهم جفن، إلى الفرسان الظلاميين الذين يمتطون مخلوقات مجنحة، وكيفية التعامل مع كل منهم، مؤكداً على أهمية السرية والتحرك الخاطف.

ثم تنهد تنهيدة عميقة، وعلامات القلق ارتسمت على وجهه، وقال بصوت خفيض: "يوجد أيضاً تنين ناري خطير يحرس الجزيرة. إنه ليس مجرد تنين عادي، بل هو كائن أسطوري، يتغذى على طاقة الشمس، ويستمد منها قوته الهائلة. في وضح النهار، يكون في أوج جبروته، نيرانه تحرق كل ما يقترب منه، وجلده يصبح كالدروع التي لا تخترق. لكن مع غياب الشمس، تبدأ قواه بالانهيار تدريجياً، ويصبح أكثر ضعفاً وهشاشة، فهو يخشى الظلام الذي يمتص طاقته ويخمد نيرانه."

ثم التفت حوران إلى فاضل، وعيناه تحملان نظرة جادة: "مهمتكم صعبة يا فاضل، اطلب العون من البلورات، فقوتها ستفيدكم كثيراً في مواجهة هذا التنين وفي كل تحدٍ يواجهكم."

ابتسم فاضل ابتسامة واثقة، وقال في نفسه: "مصدر القوة والعون هو الله وحده، فهو المدبر لكل شيء، والبلورات ما هي إلا أسباب يسوقها الله لنا، أدوات يضعها في طريقنا لتيسير أمورنا، ولكن الاعتماد الحقيقي هو عليه سبحانه وتعالى."

انطلق فاضل ونور، يمتطيان البساط السحري، الذي ارتفع بهما عالياً في السماء، مخترقاً السحب الكثيفة التي بدت كجبال من القطن الأبيض، تاركين خلفهما جبال الصقيع الأبدية. كان البساط ينساب بسلاسة عبر الفضاء الشاسع، خيوطه المتوهجة ترسم مساراً من النور في عتمة الليل، كأنه نجم ساقط يشق طريقه في الكون. كانت الرياح الباردة تصفع وجوههما، تحمل معها همسات الأسرار القديمة، لكنهما لم يشعرا بالبرد، فقلبيهما كانا يشتعلان بحرارة العزم والإصرار.

خيم الليل بظلامه الدامس، وهما ما زالا يحلقان في الجو، يراقب فاضل النجوم المتلألئة في الأعلى، وكأنها عيون تراقب رحلتهما. قرصه برد خفيف، فغاص في أفكاره، تذكر قريته الدافئة، حيث كان من المفترض أن يكون الآن، مع أصدقاء طفولته، يضحكون ويمرحون، ينعم بعيشة هانئة بعد عناء الجامعة. يأكل من طعام والدته الشهي، وجلساته الهادئة مع أبيه في مكتبته المليئة بالكتب، ومشاركته لوالديه في أمور الزراعة. آه، تنهد تنهيدة عميقة، حملت في طياتها حنيناً وشوقاً لكل تلك اللحظات البسيطة والجميلة.

ثم عصفت به الأفكار مجدداً، هذه المرة نحو نادر، صديقه ورفيق دربه، ورجله المصابة. تساءل في نفسه: "هل سينجح نادر في خطته؟ هل سيتمكن من إقناع ملك النور بحشد جيشه؟" رفع يديه إلى السماء، ودعا الله له بالتوفيق، فقلبه كان يثق بأن الله لن يخذلهم.

ثم عادت أفكاره لتتجه نحو سيرين، فمجرد ذكر اسمها جعل دقات قلبه تتسارع، وبدأ القلق يتسلل إليه. "هل يا ترى ما زالت بخير؟ هل تعاني؟ هل تمكنوا من إيذائها؟" تساءل في صمت، وعيناه تحدقان في الفراغ. "وماذا عن جيش ناركيل؟ هل أكمل استعداده؟ وماذا لو لم ننجح في مهامنا؟ هل سنهلك هنا؟ هل ستنتهي رحلتنا في هذا العالم المجهول؟" كل هذه الأفكار بدأت تعصف به، تتقاذفها أمواج القلق والخوف، حتى غط في نوم عميق، بينما البساط يواصل رحلته الهادئة.

استيقظ فاضل مع خيوط الفجر الأولى، التي بدأت تنسج وشاحها الذهبي على الأفق. حان وقت الصلاة، ولكن لا يوجد ماء كافٍ للوضوء. هبط بالبساط على الأرض، التي كانت تتكون من صخور رملية ناعمة، تشبه التراب النقي. تيمم بضربة خفيفة على الصخر، ثم مسح وجهه ويديه، ممتثلاً لقول الله تعالى في كتابه الكريم: "وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (سورة المائدة: 6).

ثم همّ أن يصلي، ولكن لا يعرف اتجاه القبلة في هذا العالم الغريب. تذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين المشرق والمغرب قبلة"، فصلى حيثما توجه، وقلبه مطمئن بأن الله يرى نيته.

تزود من الزاد الذي بقي محتفظاً به من قبيلة شعب الريح، بينما نور كان معه زاد خاص بالظليين، يختلف عن زاد فاضل في شكله ومذاقه.

ثم انطلقا مجدداً، وفي وقت الظهيرة تقريباً، بدأت الجزيرة المعلقة تلوح في الأفق، ضخمة ومهيبة. لم يعلم فاضل هل يشعر بالفرح لأنه أصبح قريباً من سيرين، أم يخاف من تنين النار الذي ينتظره.

وما إن اقتربا منها، إذا بكتلة كبيرة من النار تقترب منهما بسرعة جنونية، تكاد تلتهمهما. كان الموقف مرعباً، صرخ فاضل بفزع، لكن نور كان أسرع، بضربة خاطفة من سيفه المتوهج، شتت كتلة النار إلى شرارات متناثرة.

ثم أخذ البساط بالإسراع من تلقاء نفسه، وكأنه يشعر بالخطر، حتى وصل إلى سماء القلعة وبدأ في الهبوط. لكن كتل النار كانت تلاحقهما بلا هوادة، أصابت طرف البساط واحترقته، رغم محاولة نور وفاضل التصدي لها. هوى البساط بهما، وألقى بهما دون اكتراث، وكأنه يشعر بالألم.

هوى الأبطال في الجو، ثم بحركة سريعة، استطاع فاضل التحكم ببلورة الهواء، وشكل درعاً واقياً حولهما، مستخدماً البلورات الأخرى لتعزيزه. توهجت البلورة الزرقاء بقوة، وشكلت حاجزاً شفافاً من الهواء المضغوط، بينما البلورة الحمراء أضافت إليه قوة دفع، والبلورة الخضراء منحته مرونة لمقاومة الصدمات.

سقطا على الأرض، وتدحرجا قليلاً، ثم استراحا إلى جانب صخرة ضخمة، يلتقطان أنفاسهما بصعوبة. تنفسا الصعداء، لكن وحش النار جاء ليلقي التحية عليهما، فكيف لهما أن يبقيا من دون ضيافة في مملكته؟ وإذا به يلقي كتل النار الملتهبة تجاههما، صرخ فاضل بأعلى صوته مرتعباً، بينما نور استعد للقتال.

*****

بينما كان فاضـــل ونور يواجهان التحديات في الجزيرة المعلقة، غادر نادر مع حيزوم باتجاه مملكة النور. استغل حيزوم معرفته العميقة بالكهوف والأنفاق السرية التي تتخلل هذا العالم، فكان يرشـــده نادر عبر ممرات مظلمة ومتعرجة، بعضـــها ضـــيق لدرجة أنهما كانا يزحفان بصعوبة، وبعضها الآخر يتسع ليصبح كهوفاً شاسعة تتلألأ فيها بلورات مضيئة.

كانت هذه الأنفاق توفر لهم الحماية من المخاطر الخارجية، وتختصـــر عليهم المســـافات الطويلة.

اســتمروا في الســير لســاعات طويلة، حتى وصــلوا إلى "وادي النجوم المتلألئة" مع حلول الليل.

كان الوادي مكاناً ساحراً، تتلألأ فيه بلورات صغيرة مضيئة على الأرض، كأنها نجوم سقطت من السماء، تضيء طريقهم بنور خافت.

قرروا المبيت هنا، رغم وعورة التضـاريس الصـخرية. جمع نادر صـلاة المغرب والعشـاء، ثم جلس يتأمل ويفكر في مصير عالم الظل، وما هي خطته لإقناع الملك حكيم بحشد جيشه.

أما حيزوم، فقد كان نار الحزن تعصـــف في فؤاده، فزمجرة أنين خافتة كانت تخرج منه بين الحين والآخر، وكأنه طائر مكسور الجناح، فقد كل شيء.

اقترب منه نادر، وواساه بلطف، وضع يده على كتفه، وقال بصوت حنون: "أعلم أن الألم كبير يا حيزوم، ولكن الأمل موجود. سنستعيد كل شيء، وسننتقم لكل من فقدناهم."

كانت كلمات نادر كبلسم يداوي جراح حيزوم، فهدأ قليلاً، ثم خلدا للنوم.

استيقظا على خيوط الشمس الذهبية، التي بدأت تتسلل عبر شقوق الصخور، وترسم لوحة فنية على جدران الكهف. تزودا ببعض الزاد، وحملا أمتعتهما، وواصلا مسيرهما. وفي وقت الغروب، وبعد رحلة شاقة، وصلا إلى مملكة النور، دون التعرض لأي كائنات غريبة كان نادر يخشاها. كان هذا كله بفضل حيزوم ومعرفته العميقة بالمكان، فقد قادهما عبر طرق آمنة، بعيداً عن أعين ناركيل وأتباعه.

*****

غادر سيدرك، وقلبه يعتصره الألم. كان يتمنى لو استطاع أن يشارك الأبطال في مهمتهم الخطيرة، أن يكون جزءاً من هذا الصراع الكبير الذي سيحدد مصير العالمين. لكنه كان يعلم أن دوره يختلف، وأن عليه أن يجد طريقة أخرى للمساعدة. كانت عيناه تراقبان الأبطال وهم يبتعدون، وقلبه يضج بمشاعر متضاربة من العجز والأمل. كان يعلم أن الطريق أمامه طويل وصعب، لكنه كان مصمماً على إيجاد مكانه في هذه المعركة، وأن يقدم كل ما لديه لدعم قضية النور.

الفصل

السابع عشر

تصدى نور لكرات اللهب المتوهجة باحترافية مذهلة، كان يتحرك بخفة ورشاقة لا تصدق، يتفادى الكرات النارية الضخمة التي كانت تنطلق من فم التنين كالقذائف، وفي كل مرة يشتتها بضربة خاطفة من سيفه المتوهج، الذي كان يترك أثراً من النور في الهواء.

كانت الأرض تهتز تحت أقدامهم مع كل هجوم للتنين، ولهيبه كان يضيء سماء الجزيرة المعلقة بلون أحمر قاني.

نهض الأبطال، فاضل ونور، لقتال الوحش، عيونهما مثبتة على التنين الذي كان يزمجر بغضب، وكأنه يرفض وجودهما في مملكته.

كان نور هو المحرك الأساسي في هذا القتال، يرقص حول التنين كالشبح، يهاجم من كل زاوية، يشتت انتباهه، بينما فاضل كان يركز على استخدام بلوراته لخلق حواجز هوائية مؤقتة تحميهما من الهجمات المباشرة، ويحاول فهم نمط هجمات التنين.

استمر القتال الشرس لساعات طوال، كان التنين قوياً وعنيداً، لكن نور كان أكثر منه دهاءً.

لاحظ نور أن التنين، على الرغم من قوته الهائلة، كان يظهر ضعفاً طفيفاً في منطقة معينة من رقبته، حيث كانت الحراشف تبدو أقل سمكاً، وربما كانت تلك نقطة ضعفه التي يستمد منها طاقته الشمسية.

وبينما كان نور يحاول الوصول إلى تلك النقطة، أصيب إصابة بالغة. كرة لهب ضخمة لم يتمكن من تفاديها بالكامل، أصابت كتفه الأيسر، فألقته أرضاً، وسيفه المتوهج انطفأ نوره.

شاهد فاضل صديقه ونور ينهار أمامه، فاشتاظ غضباً. تدفقت قوة غريبة في عروقه، لم يشعر بها من قبل. تذكر كلمات نور الأخيرة، إشارته إلى نقطة ضعف التنين. رفع فاضل بلورته الزرقاء، التي توهجت بقوة لم يسبق لها مثيل، وكأنها تستجيب لغضبه ويأسه.

وبطريقة مبتكرة، لم تخطر على بال أحد، وجه فاضل طاقة البلورة نحو نقطة الضعف التي أشار إليها نور. لم تكن مجرد ضربة عادية، بل كانت موجة من الهواء المضغوط، ممزوجة بطاقة البلورة الزرقاء، اخترقت دفاعات التنين، وأصابت رقبته مباشرة. زمجر التنين بألم، اهتز جسده الضخم، ثم سقط أرضاً بضجة مدوية، تاركاً خلفه سحابة من الغبار واللهب المتلاشي.

لم يمت التنين، لكن إصابته كانت خطيرة، فقد تراجع ببطء، يجر جسده المثقل، متوارياً في أعماق الجزيرة، مما فتح لهما الطريق نحو القلعة.

بعد مواجهة التنين، تسلل فاضل ومعه نور المصاب إلى القلعة. كانت القلعة من الداخل متاهة حقيقية من الممرات المظلمة والملتوية، التي تتفرع في كل اتجاه، وكأنها عروق كائن حي عملاق. كانت الجدران حجرية باردة، تنضح بالرطوبة، ورائحة العفن واليأس تملأ المكان. قبل أن يواصلا التقدم، قام فاضل بمعالجة نور باستخدام البلورات، كما فعل معه ومع مالك عندما أصيبا أثناء حصولهما على الختم الثاني. توهجت البلورة الخضراء في يده، وأطلقت نوراً دافئاً، شفى جرح نور بسرعة مذهلة، وأعاد إليه قوته.

بدأ فاضل ونور في التقدم بحذر داخل المتاهة، مستخدمين خبرة حوران التي شرحها لهما عن مداخل ومخارج القلعة السرية. كانت المواجهة الأولى مع الحراس سهلة بشكل مدهش. كانوا حراس ظل عاديين، يتحركون ببطء، وهجماتهم كانت متوقعة. تمكن فاضل ونور من القضاء

عليهم بسهولة، مستخدمين مهاراتهما القتالية وقدرات البلورات. استغرب فاضل من سهولة الأمر، وقال لنور بصوت خفيض: "هل نحن في الطريق الصحيح إلى سيرين يا نور؟ هؤلاء الحراس أضعف بكثير مما وصفه لنا حوران." رد نور بصعوبة، صوته ما زال يحمل أثراً من الألم: "نعم، إنه هو. لا تقلق."

وأثناء سيرهما باتجاه الزنزانة التي تقبع بها سيرين، واجها أنواعاً جديدة من حراس الظل، كانوا أكثر قوة وذكاءً. كانوا يتحركون بسرعة فائقة، وهجماتهم كانت منسقة ومفاجئة. بعضهم كان يمتلك دروعاً من الظلام يصعب اختراقها، وبعضهم الآخر كان يطلق سهاماً من الظل تتبع الأبطال. تعامل فاضل ونور معهم ببراعة، حيث استخدم فاضل بلورته الحمراء لخلق موجات من الصدمات تبعد الحراس، بينما نور كان يستخدم سرعته الفائقة وسيفه المتوهج لاختراق دفاعاتهم.

كان القتال صعباً، لكنهما تمكنا من التغلب عليهم، وإن كان ذلك بعد جهد كبير.

وصل فاضل ونور إلى باب الزنزانة التي تحتجز فيها سيرين، كما وصفها لهم حوران، بعد عناء وقتال شرس.

كان الباب مصنوعاً من معدن داكن، وعليه رموز غريبة. اتسعت عينا فاضل عندما فتح الباب، لم تكن سيرين موجودة. كانت الزنزانة فارغة، لا يوجد سوى فراغ بارد ومظلم. هل يا ترى علموا بمجيئهما ونقلوها إلى مكان آخر؟ هل كانت كل هذه التضحيات بلا جدوى؟ شعر فاضل بخيبة أمل عميقة، بينما نور كان يبحث في الزنزانة عن أي أثر أو دليل.

*****

وصـــلا نادر وحيزوم إلى مملكة النور، التي لم تكن مجرد مدينة، بل كانت واحة من النور والحياة في قلب عالم الظل. كانت أسوارها الشاهقة، المصنوعة من بلورات متوهجة، تشع بنور أبيض نقي، كأنها درع من الضوء يحمي المملكة من الظلام المحيط. كانت الأبراج العالية تتوج الأسوار، وتتوهج بضوء خافت، وكأنها منارات ترشد التائهين. كانت المملكة تنبض بالحياة، أشجارها تضيء، وأنهارها تتدفق بنور سائل، وكل شيء فيها كان يعكس الانسجام والسلام.

استقبلهم الملك حكيم استقبالاً كبيراً، يليق بضيوف أتوا من عالم آخر. كان الملك حكيم، الذي يعرف نادر وفاضل منذ أن دلفا إلى عالم الظل، فهو من زودهم بالزاد وأرسل معهم مالك، كائناً مهيباً، جسده يتوهج بنور أبيض نقي، وعيناه تحملان حكمة آلاف السنين.

أمرهم بأن يستريحوا، ولكن نادر أبى، وقال بصوت حازم: "لم نأتِ لنستريح أيها الملك، فالخطر يحدق بنا جميعاً." وبدأ يشرح له عن جيش ناركيل وخطته لغزو مملكة النور وفتح البوابة الكبرى، وأخبره أن المخطوطات أصبحت في حوزتهم، وأن صديقه فاضل ذهب لإنقاذ سيرين، مؤكداً أن الوقت ليس في صالحهم.

صمت الملك حكيم طويلاً، ثم قال بصوت حزين: "لقد انتظرتكم كثيراً، ولكنكم تأخرتم. لقد حدث شقاق بين حكمائنا، واتبع كل واحد منهم جزءاً كبيراً من الظليين، ولم يبقَ سوى اثنين من الخمسة الحكماء. "اتسعت عينا نادر بصدمة، وشعر بخيبة أمل عميقة. "وهل نستسلم بهذه السهولة؟"

قال نادر، وعيناه تشتعلان بالعزم. "أريد أن أجتمع بهم الآن وعلى الفور!" بعد محاولات عديدة، وافق الملك حكيم، واجتمع الحكماء.

استخدم نادر مهاراته في الإقناع، وبدأ يشرح لهم جيش ناركيل وخطته، وبدأ ينفر ويحفز الحكماء على القتال، ويحثهم على الوحدة. تدخل حيزوم أيضاً، وشرح لهم وحشية ناركيل وما فعله بشعبه، وكيف أن ناركيل لا يرحم أحداً.

بدأ نادر يلهم الحكماء بقصص عن عالم البشر، وعن قوة الأمل والإيمان، وكيف أن البشر، على الرغم من ضعفهم، تمكنوا من التغلب على تحديات عظيمة عندما توحدوا.

قال لهم: "في عالمي، عندما يتحد البشر، لا توجد قوة تستطيع إيقافهم. إن قوة الإيمان والوحدة هي السلاح الأقوى ضد أي ظلم." ثم أضاف بصوت مرتفع، يملؤه الشغف: "لا أعلم ماذا تنتظرون! جيش ناركيل على الأبواب! أعلم أنهم أشرار، وأنكم طيبون ومتسامحون، ولكن إن اجتمعتم، فسيكتب التاريخ عنكم أنكم اجتمعتم كي تزيلوا الظلم عنكم، وتنقذوا عالمكم من الدمار. في عالمي، هناك من يشبهونكم، وما زالوا ينتظرون يوماً ليجتمعوا، وما زال التاريخ يسجل ذلهم وتخاذلهم!" ثم علا صوته، وصدى كلماته يتردد في أرجاء القاعة: "انهضوا أيها الحكماء! انهضوا أيها الأبطال! فالمعركة ليست معركة الظليين فقط، بل هي معركة النور ضد الظلام، معركة الخير ضد الشر!"

وافق الحكماء، وشعروا بالحماس يشتعل في قلوبهم. ثم اتجه كل واحد منهم لإعداد الجيش الذي يقع تحت أمرته. كانت الاستعدادات النهائية لجيش النور مذهلة. الجنود يتدربون بلا كلل، أسلحتهم ودروعهم المتوهجة تلمع في ضوء المملكة. كان هناك حوار مستمر بين نادر والملك حكيم حول الاستراتيجية العسكرية، وكيفية مواجهة جيش ناركيل، وكيفية استغلال نقاط ضعف جيش الظلام.

بعد تدريب مكثف، خرج الجيش من ســـور المدينة الضـــخم، الذي لا يفتح إلا لمثل هذه المواقف المصيرية، نحو ساحة المعركة، تاركاً المملكة خلفه.

تقدم الجيش بقيادة الملك حكيم، وبجانبه نادر، كلاهما يرتديان دروعاً متوهجة، وخلفهما الحكماء الخمســة، ثم ما يقارب الثمانين ألف جندي، يســيرون بخطى ثابتة، عيونهم تشــتعل بالعزم. وصــلوا إلى مشــارف "وادي الصــدى"، وهو وادٍ عميق تحيط به الجبال الشــاهقة، ويتردد فيه صـــدى الأصـــوات، مما يجعله مكاناً مثالياً للكمائن والمعارك. خيموا هناك، وتم إرسال كشافة لمراقبة تحركات جيش ناركيل.

في تلك الليلة، قام نادر برفع معنويات الجنود، يتجول بينهم، يروي لهم قصـــصـــاً عن الشجاعة والتضحية، ويذكرهم بأنهم يقاتلون من أجل النور، من أجل مستقبل عالمهم. كانت كلماته تلهب حماسهم، وتزرع الأمل في قلوبهم.

وفي تلك الليلة، تفاجأ نادر بالزعيم كياتسو يقدم بجيش مضرج بالسلاح، ويتعالى من بعدهم الغبار. اســـتقبلهم نادر بفرح غامر، وقال: "كنت أعلم أنك لن تخذلنا أيها الزعيم!" دار حوار قصـير بينهما، حيث أخبر كياتسـو نادر بأنه لم يسـتطع الجلوس مكتوف الأيدي بينما عالم النور يواجه الخطر، وأنه جاء لتقديم الدعم بكل ما يملك.

ثم لحقه ســـيدرك، ومعه جيش من الظليين التائهين، الذين تمكن من حشـــدهم وإقناعهم بالانضــمام إلى قضــية النور. كان مشــهداً مؤثراً، حيث رأى نادر ســيدرك يقود جيشــاً من الكائنات التي كانت يوماً ما بلا هدف، والآن تقاتل من أجل قضية نبيلة.

ولكن ما أثار دهشــته حقاً هو حضــور جيش يقوده الزعيم أرغوس، الذي كان يغطي إحدى عينيه، وكأنها قد انطفأت. اتســـعت عينا نادر، وفتح فاه بذهول: "الزعيم أرغوس! "رد

أرغوس بصوت قوي: "نعم، إنه أنا! وهل تظنني جباناً لأتخلف عن هذا القتال أيها البشري؟ "قال نادر: "كنا نظن أنك مت ذاك اليوم على يد زارثوس."

رد أرغوس بابتسامة ساخرة: "آه، وهل تظنني ضعيفاً لهذا الحد؟ لقد جاء جزء فقط من قواتي الخاصة التي تقبع في الكهوف الأخرى، وقضت على جيش زارثوس ولاذ بالفرار. حمد نادر الله على هذا الدعم غير المتوقع، فقد كان حضور أرغوس وجيشه بمثابة دفعة معنوية هائلة.

شعر حيزوم بحماس شديد عندما رأى تلك المشاهد، واستأذن نادر للتواصل مع قادته لإحضار ما تبقى من جنوده، ويشاركه النصر.

كان المشهد مهيباً، جيوش النور تتجمع، تستعد لمواجهة الظلام، والأمل يشرق في الأفق.

*****

في قلب مملكته المظلمة، كان ناركيل يواصل استعداداته للحرب، وقد بلغت وحشيته وقسوته ذروتها. كانت القلعة تضج بالنشاط المحموم، أصوات المطارق تصدح بلا توقف، تصنع أسلحة جديدة ومعدات حربية لم يسبق لها مثيل.

كانت قوات المهام الخاصة تتدرب بلا كلل، يتقنون فنون القتال والقتل بأساليب وحشية ولاإنسانية، لا تعرف الرحمة أو الشفقة. كانت عيونهم تشتعل بنيران الشر، وقلوبهم متعطشة للدماء.

لم يكتفِ ناركيل بجيشه التقليدي، بل كشف عن أسلحة جديدة ومخلوقات مرعبة ينوي استخدامها في المعركة القادمة. كانت هناك "الديدان العملاقة"، كائنات ضخمة ذات فكوك

فولاذية، قادرة على ابتلاع الجنود والدروع في لمح البصر. و"العناكب الظلامية"، مخلوقات سريعة ومرنة، تنسج شباكاً سامة، وتختبئ في الظلال لتنقض على فرائسها. و"الغرغول الطائر"، كائنات مجنحة ذات مخالب حادة، تهبط من السماء كالصواعق، وتخطف الجنود من صفوفهم.

كان ناركيل يرى في هذه المخلوقات أدوات لتحقيق هدفه النهائي، وهو السيطرة المطلقة على العالمين.

*****

يواصل مالك دوره كجاسوس، يرسل المعلومات الحساسة إلى كياتسو، محاولاً إبقاء قوى النور على اطلاع بتحركات ناركيل وخططه.

كشف لهم معلومات حاسمة، بما في ذلك نية ناركيل استخدام "البوابة الغربية"، وهي بوابة قديمة تقع في غرب مملكة النور، لفتح ممر إلى عالم البشر، مما سيمنحه قوة لا حدود لها. كما كشف عن تحركات جيش ناركيل، وموعد انطلاقهم، والمسار الذي سيسلكونه، مما أعطى قوى النور ميزة استراتيجية حاسمة.

*****

بدأ جيش الظلام في التحرك نحو مملكة النور. كانت المسيرة ضخمة، تمتد على مد البصر، دروعهم السوداء تلمع في الظلام، وأصواتهم تدوّي كهدير العواصف، تثير الرعب في قلوب كل من يسمعها. كانت الأجواء مظلمة حيثما مروا، كأن الظلام يتبعهم أينما ذهبوا، يترك خلفه الخراب والدمار. الأشجار تذبل، والأرض تتشقق، والماء يتحول إلى سواد.

كان ناركيل يقود الجيش بنفسه، يمتطي مخلوقاً ضخماً أسود اللون، عيناه تشتعلان بنيران الانتقام، وقلبه يملؤه الشر المطلق. كان تصميمه على تحقيق هدفه النهائي لا يتزعزع، فكل خطوة كان يخطوها كانت تقربه من السيطرة على العالمين.

كانوا يتقدمون بلا توقف، لا يلتفتون إلى الوراء، تاركين خلفهم دماراً شاملاً.

وصول جيش ناركيل إلى مشارف "وادي الصدى"، بالقرب من ساحة المعركة المتوقعة. كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، صمت رهيب يسبق العاصفة، مما يمهد للمواجهة الكبرى التي ستقرر مصير العالمين.

الفصل

الثامن عشر

لم يكد فاضل يستوعب صدمة الزنزانة الفارغة، حتى سمع هو ونور أصوات قتال عنيف قادمة من الجانب الآخر من الزنزانة. تبادلا نظرة سريعة، نظرة تحمل مزيجاً من الأمل والحذر، ثم اتخذ نور وضعية دفاع، وتبعها فاضل، استعداداً لأي هجوم.

تقدما بكل جرأة باتجاه الصوت، وقلوبهما تنبض بترقب، حتى وصلا إلى مصدر الصوت.

لم تكن غير سيرين! كانت تقاتل بشجاعة مذهلة، وحركات رشيقة، وكأنها راقصة موت، ومعها بعض الظليين يقاتلون إلى جانبها، في مشهد لم يتوقعه فاضل أبداً.

كانت ترتدي ثوباً داكناً فضفاضاً، يبرز رشاقتها، وشعرها الأسود الفاحم ينسدل حول وجهها كالشلال، يتطاير مع كل حركة، وكأنه يرقص معها في ساحة القتال.

أنهت القتال قبل وصول فاضل إليها، وإذا بها تتجه نحوه راكضة، عيناها تلمعان بالفرح والارتياح، وكأنها رأت بصيص أمل بعد ظلام دامس.

لم تحتضنه، بل توقفت أمامه بابتسامة عريضة، وكأنها لا تصدق ما تراه، أو ربما كانت تحترم المسافة بينهما. أدرك نادر أن شعرها مكشوف، فنزع ردائه، وقدمه لها لتغطية رأسها، فابتسمت سيرين ووضعتها على الفور.

سألها فاضل بذهول، وصوته يرتجف قليلاً: "من هؤلاء؟ "ردت سيرين، وعيناها تلمعان بالفخر، وصوتها يحمل نبرة قوة: "هؤلاء من جنود ناركيل كانوا يحرسون الزنزانة.

استطعت التحكم بهم وجعلهم يقاتلون في صفي.

إنهم طيبون، لولا سحر ناركيل كان يسيطر عليهم.

سـألها فاضـل باسـتغراب، محاولاً فهم ما حدث: ولماذا لم تهربي إن كنتِ تسـتطيعين التحكم بهم؟ ردت سـيرين، وعلامات الحزن تظهر على وجهها: كانوا كثيراً جداً، فلن أقدر على التحكم بهم جميعاً. لكن في الأيام الأخيرة، بدأت ألاحظ غيابهم ونقصـانهم بالتدرج، فلما وصلتم لم يكن هناك إلا القليل منهم، لا أعلم أين ذهبوا.

كما أن فيهم جنوداً خالصين لا أستطيع التحكم بهم، مثل الذين قاتلتهم للتو.

قال فاضـل، وقد أدرك خطورة الموقف: لقد انضـموا إلى جيش ناركيل إذن للقضـاء على مملكة النور. إن ناركيل مصاب بجنون العظمة فعلاً! ألا يكفيه ما حشده حتى الآن؟

حاولوا الخروج من الزنزانة، ولكن التنين كان بانتظارهم، يزمجر بغضب، ولهيبه يملأ المكان.

كان غضبه هذه المرة أشد، وكأنه يشعر بالإهانة من هزيمته السابقة.

كانت عيناه تشتعلان بنيران حمراء، وحراشفه تلمع ببريق قاتم، وكأنه يهدد بالانتقام.

أدركوا أنه لن يرحمهم هذه المرة، لذلك اضطروا للمكوث في الزنزانة حتى يخيم الليل ويختفي التنين. كان غضب التنين يملأ المكان، يهز جدران الزنزانة، ويجعل الهواء يرتجف.

كان يضـرب الأرض بذيله الضـخم، ويطلق زئيره المدوي الذي يرتد في أرجاء القلعة، وكأنه يعلن عن غضبه العارم، ويقسم على الانتقام.

*****

أثناء مكوثهم في الزنزانة، تبادلوا أطراف الحديث، وكأنهم يعوضـــون ســـنوات من الغياب. روت ســـيرين كيف تم خطفها، وكيف كانت تحاول المقاومة بكل ما أوتيت من قوة، وكيف تمكنت من السيطرة على بعض الحراس.

بينما روى لها فاضل كيف التقى بنادر في ظروف غامضة، وكيف دلفا إلى عالم الظل للبحث عنها، وكيف حصلا على المخطوطات الأربعة، شرح كل شيء بالتفصيل، من مغامراتهما في المخرقة، إلى لقائهما بكياتسو، وحتى معركتهما الأخيرة مع التنين.

ذكر لها خالها أحمد ومحاولته الفاشـــلة لإنقاذ العالم، وكيف أن روحه ما زالت تحوم في عالم الظل، وعن جيش ناركيل الجرار الذي يهدد كل شيء، وكيف أن مصير العالمين أصبح على المحك.

شعرت سيرين بالحزن، وأخبرته بأنها كانت تعلم أن خالها أحمد موجود في عالم الظل، مثل ما تعلم بوجود نادر وفاضـل، ولكنها لم تستطع التواصـل معه كما كانت تفعل مع فاضـل في الســابق، وانقطعت أخباره عنها منذ مدة. كان هذا الانقطاع يســبب لها قلقاً عميقاً، وكأن جزءاً منها قد فُقد، فلم تكن تعلم أنه مات.

اكتشـــف فاضـــل أن ســـيرين ليســـت فتاة عادية، فهي قوية، ولديها معلومات كثيرة عن المخطوطات، وخاصـة ختم الروح، الختم الرابع. كانت تتحدث عن تفاصـيل لم يكن يعرفها أحد سواها، وكأنها عاشت مع هذه المخطوطات لقرون.

كانت تعرف أسرارها، وكيفية استخدامها، وقوتها الكامنة.

عندما خيم الليل تسللوا إلى خارج الزنزانة، وعندما وصلوا إلى السطح، لم يكن هناك أي أثر للتنين.

طلبت سيرين المخطوطة الرابعة، ومجرد أن لمستها، شعرت بطاقة غريبة تنتابها، وكأنها نبضات حياة تتغلغل في جسدها، وتوقظ قوى كامنة بداخلها. بدأت ترى لمحات كثيرة عن عالم الظل، صوراً متقطعة، أصواتاً خافتة، رؤى سريعة تتداخل وتتضح، حتى وصلت إلى المعركة التي على وشك الحدوث بين مملكة النور بقيادة الملك حكيم ومملكة الظلام بقيادة ناركيل. رأت جيوشاً ضخمة تتصادم، وأضواءً ساطعة تتوهج في الظلام، وأصوات صرخات وأنين تملأ الأجواء. لقد وضع ناركيل خطة خبيثة للقضاء على مملكة النور، خطة شيطانية تهدف إلى تدمير كل بصيص أمل. صاحت سيرين بفزع، وصوتها يرتجف: "يجب أن نساعدهم! الوقت ينفذ! "بدأت سيرين تخبر فاضل كيف قام ناركيل بتقسيم جيشه للقضاء على مملكة النور، وكيف أن خطته تتضمن هجوماً مباغتاً على المملكة نفسها، بينما يواجه الجيش الرئيسي جيش النور في وادي الصدى. كانت كلماتها سريعة، مليئة بالتحذير، وكأنها ترى المستقبل أمام عينيها.

*****

بعد وصول المدد بقيادة كياتسو وأرغوس وسيدرك والكائنات الجليدية وجيش حيزوم، غير نادر من تكتيكات المعركة وقسم جيشه استناداً على المعلومات التي حصل عليها من كشافاته التي أرسلها للاستطلاع. كان نادر، بصفته قائداً عسكرياً بارعاً، يدرك أن النصر في هذه المعركة المصيرية لن يعتمد فقط على عدد الجنود، بل على التخطيط الذكي، واستغلال نقاط القوة، ومفاجأة العدو.

وضع نادر جيش شعب الريح الحقيقي والبشري بقيادة كياتسو في الميمنة، ويبلغ تعدادهم 20 ألف مقاتل. هؤلاء المقاتلون، المعروفون بسرعتهم الفائقة وقدرتهم على المناورة، كانوا

يشكلون رأس الحربة في الهجوم، قادرين على الالتفاف حول أجنحة العدو، وشن هجمات خاطفة. كانت أسلحتهم خفيفة، لكن ضرباتهم كانت قاتلة، مدعومة بقوة الريح التي كانت تزيد من سرعتهم وفتكهم.

وفي الميسرة، وضع جيش الزعيم أرغوس، الذي وصل تعداده إلى 30 ألف مقاتل.

هؤلاء المحاربون، المعروفون بقوتهم الهجومية الهائلة ومهارتهم في القتال المباشر، كانوا يشكلون الجدار الفولاذي الذي لا يتزعزع. دروعهم ثقيلة، وسيوفهم حادة، وكل ضربة منهم كانت تحمل قوة جبل.

كانوا يتقدمون كالموجة الجارفة، لا يخشون شيئاً، مستعدين لسحق أي مقاومة.

أما جيش حيزوم وسيدرك، فلم يكونا مجهزين بكامل أسلحتهما، فوضعهما نادر في مؤخرة الجيش كقوة احتياطية استراتيجية. لم يكن هذا تقليلاً من شأنهما، بل كان قراراً تكتيكياً ذكياً. ففي اللحظة المناسبة، يمكن لهذه القوة أن تتدخل لقلب موازين المعركة، سواء بتقديم الدعم اللوجستي، أو بالتعامل مع أي اختراقات مفاجئة لخطوط الدفاع، أو حتى بشن هجوم مضاد من الخلف يباغت العدو.

كانت الكائنات الجليدية، بقوتها الهائلة وقدرتها على تجميد الأعداء، تشكل إضافة قيمة لهذه القوة الاحتياطية، قادرة على إحداث فوضى في صفوف العدو.

بينما قسم جيش الظليين الأصلي، الذي يقوده الملك حكيم، إلى قسمين رئيسيين: 40 ألف مقاتل في المقدمة، ليشكلوا خط الدفاع الأول ويمتصوا الصدمة الأولى لهجوم جيش الظلام.

هؤلاء المقاتلون، الذين يمتلكون خبرة طويلة في القتال، كانوا مستعدين للتضحية بأرواحهم لحماية المملكة.

و40 ألف مقاتل في القلب، ليشكلوا القوة الضاربة الرئيسية، ويقوموا بالهجوم المضاد في الوقت المناسب. كانوا هؤلاء هم النخبة، المدربون على أعلى مستوى، والذين يمتلكون القدرة على تغيير مسار المعركة بضربة واحدة.

هذا التقسيم يشكل خميساً كبيراً جداً، يبلغ تعداده الإجمالي حوالي 130 ألف مقاتل اضافة إلى مؤخرة الجيش بقيادة سيدريك وحيزوم، مما يمنح جيش النور قوة هائلة وقدرة على الصمود والمناورة في المعركة القادمة.

كان المشهد مهيباً، جيوش النور تتجمع، تستعد لمواجهة الظلام، والأمل يشرق في الأفق.

كانت الطبول تدق إيقاعاً حماسياً، والرايات ترفرف عالياً في السماء، تعلن عن قدوم معركة لم يشهدها عالم الظل من قبل.

كان كل جندي يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، وبالشرف الذي يحمله في الدفاع عن النور. كانت الأجواء مشحونة بالترقب، لكنها كانت مليئة أيضاً بالعزيمة والإصرار على النصر.

*****

قبل وصول ناركيل وجيشه إلى وادي الصدى، قام بتقسيم جيشه ووضع خطة خبيثة، خطة لا تخطر على بال أحد، تهدف إلى سحق مملكة النور من الداخل والخارج.

كان ناركيل يدرك أن القوة الغاشمة وحدها لا تكفي، بل يجب أن يرافقها المكر والخداع لضمان النصر الساحق.

أمر ناركيل فرسان الظلام، وهم نخبة من الظليين يمتطون مخلوقات طائرة ضخمة تشبه الغربان، أجنحتها سوداء كالفحم، وعيونها تشتعل بالشر، بالتحليق بصمت فوق مملكة النور.

هؤلاء الفرسان، الذين يمتلكون مهارات قتالية لا تضاهى، كانوا يحملون معهم قنابل دخانية سامة، قادرة على نشر الفوضى والذعر.

كما أمر الظلال الصامتة، وهي فرقة من قواته الخاصة، قتلة متخفون، يستخدمون الخناجر المسمومة والسهام الصامتة، قادرون على التسلل خلف خطوط العدو كالأشباح، بالانضمام إلى فرسان الظلام.

كانت مهمتهم التسلل إلى مملكة النور بعد أن خرج الجيش منها، ليعيثوا الفساد من تدمير وقتل وأسر من تبقى داخل المملكة، سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً، شيوخاً أم أطفالاً.

فقد أمر بإذلالهم وأسرهم وقتل أي شخص يقاوم منهم، دون رحمة أو شفقة. كانت هذه الخطة تهدف إلى كسر روح المقاومة في مملكة النور، وإجبار جيشها على التراجع لإنقاذ أهلهم، مما سيجعلهم فريسة سهلة لجيش ناركيل الرئيسي.

أما الفرقة الثانية من جيشه، فأمرها بالتقدم بجيش قوامه 100 ألف مقاتل، موهماً جيش النور بأن ناركيل فيه. هذا الجيش، الذي كان يضم نخبة من أقوى محاربي الظلام، كان يتقدم بضجيج وصخب، يثير الغبار، ويطلق صيحات الحرب، لجذب انتباه جيش النور، وإيهامهم بأن هذه هي الضربة الرئيسية.

بينما بقي ناركيل وفرقته الثالثة، وهي القوة الضاربة الحقيقية، خارج نطاق المعركة، مستغلين البيئة نفسها على التخفي. كانت هذه الفرقة تتكون من أقوى المحاربين، والمخلوقات الأكثر فتكاً، وكانوا يختبئون في التضاريس الوعرة، مستعدين للانقضاض على جيش النور من الخلف، أو من الجانب، في اللحظة التي يكون فيها جيش النور منشغلاً بالفرقة الثانية. كانت هذه الخطة تكتيكاً شيطانياً، يهدف إلى إحاطة جيش النور من كل جانب، وسحقه تماماً.

*****

بدأت سيرين وفاضل ونور بالبحث عن أي حل لإنقاذ المملكة من دمار ناركيل. كانت الأجواء مشحونة باليأس، فكل الطرق بدت مسدودة، وكل الأبواب موصدة.

لم يكن هناك حل يلوح في الأفق، وكأن القدر قد حكم عليهم بالهزيمة. صرخ فاضل بيأس، صوته يرتجف من الإحباط: "الكتاب! الكتاب هو حلنا الوحيد! الكتاب الذي أعطانا إياه حوران!" ولكن لا أحد يعرف كيف يستخدمه، وكيف يفك طلاسمه. كان الكتاب صامتاً، وكأنه يحمل أسراراً لا يريد البوح بها.

تكلمت سيرين، وعيناها تلمعان ببريق أمل خافت: "هل أخبركم أي معلومات عنه؟" هز فاضل رأسه نافياً، ثم تذكر فجأة، وكأن بصيص نور قد اخترق ظلام اليأس: أخبرني أنه يفتح بواسطة الختم الرابع.

أعطيني الختم إذن! قالت سيرين بحماس، وكأنها وجدت ضالتها. لمست الختم الرابع، وهو بلورة متوهجة بلون أرجواني عميق، شعرت بطاقة غريبة تنتابها، وكأنها نبضات حياة تتغلغل في جسدها، وتوقظ قوى كامنة بداخلها. وضعت الختم على الكتاب، وتكلمت بالمشكلة

التي يريدون لها الحل، وهي إنقاذ مملكة النور من جيش ناركيل المتغطرس، بصـــوت خافت، وكأنها تتحدث إلى كائن حي، إلى روح تسكن بين صفحات الكتاب.

انفتح الكتاب وكأنه يتنفس، وبدأت الكلمات تظهر في صـــفحاته، إضـــافة إلى صـــور توضيحية، وكأنها ترسم طريقاً واضحاً أمامهم. اتسعت عينا نور وفاضل بذهول، لم يصدقا ما تراه أعينهما.

كان نور يحدق في الصـــفحات بانبهار، محاولاً فك رموزها، بينما فاضـــل كان يمســـح عينيه مراراً، وكأنه يتأكد من أن ما يراه ليس مجرد وهم.

كان مكتوباً بلغة غير مفهومة، لغة قديمة، لغة الأجداد، لكن ســـيرين فهمتها، وكأنها لغتها الأم.

كان مكتوباً: "الحل هو ذهاب شخص نقي يحمل في دمه دماء ظلية ودماء بشرية إلى البوابة الكبرى.

تلاشـت ابتسـامة سـيرين، وارتسـمت على وجهها علامات الحيرة. شـخص نقي يحمل دماء ظلية وبشرية؟

تمتمت ســيرين، عيناها تبحثان عن إجابة في عيني فاضــل ونور. لم تفهم المقصــود، وكذلك فاضل ونور.

نظر فاضل إلى نور، ثم إلى سيرين، محاولاً الربط بين الكلمات الغامضة وحقيقة سيرين.

هل يعني هذا أنها هي المقصودة؟ هل هي الوحيدة التي تحمل هذا المزيج الفريد من الدماء؟ في تلك اللحظة، لمست سيرين الختم الرابع مجدداً، وتوهج الختم بشدة، وكأن طاقة هائلة قد انبعثت منه. بدأت تتحدث، وكأنها تكلم شخصاً ما، صوتاً خفياً لا يسمعه أحد سواها.

فلم يكن سوى حوران، ملك الختم الرابع، الذي تجلى صوته في عقل سيرين، صوتاً عميقاً، حكيماً، يحمل في طياته آلاف السنين من المعرفة.

أهلاً وسهلاً بكِ أيتها الفتاة النقية، قال حوران، صوته يتردد في عقلها كصدى بعيد. أنتِ أمام اختبار صعب. إذا أردتِ فعلاً إنقاذ مملكة النور، فعليكِ الوصول إلى البوابة الكبرى.

حيث الطريق المحفوف بالمخاطر، بدأ حوران يصف المخاطر التي تنتظرهم: ستواجهون وحوشاً قديمة لم ترها عين بشر من قبل، أرواحاً ضائعة تحرس الطريق، ألغازاً عتيقة تختبر عقولكم، وفخاخاً مميتة تنتظر الغافلين.

كل خطوة ستكون تحدياً، وكل ظل قد يخفي خطراً. ولكن تذكري، يا سيرين، أن قوتك الحقيقية تكمن في نقاء قلبك، وفي المزيج الفريد من الدماء الذي يجري في عروقك.

تابع حوران: وعندما تصلين إلى هناك، ستجدين صخرة كبيرة بجانب البوابة، أزيليها وستجدين حفرة صغيرة. ضعي من دمكِ فيها.

شعر فاضل ونور بالدهشة والرهبة، بينما كانت سيرين تستمع بتركيز، وكأنها تتلقى تعليمات لمهمة مصيرية. كانت الكلمات تتردد في عقلها، ترسم خريطة طريق محفوفة بالمخاطر، لكنها تحمل في طياتها أمل النجاة.

كان هذا هو الحل، هذا هو الطريق الذي يجب أن يسلكوه، مهما كانت التحديات. كانت عينا سيرين تلمعان بالعزيمة، فقد وجدت أخيراً هدفاً واضحاً، ومهمة يجب أن تنجزها لإنقاذ عالمها.

الفصل

التاسع عشر

بعد أن كشـــف حوران عن طريق النجاة، أدركت ســـيرين أن مفتاح الحل يكمن في معرفتها بالختم الرابع، وفي البساط الذي جاء به فاضل ونور إلى هذه الجزيرة.

لم يكن هذا البساط مجرد قطعة قماش سحرية، بل كان كياناً حياً، مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالختم الرابع، وكأنهما وجهان لعملة واحدة.

كانت العلاقة بينهما تكمن في كونهما أدوات قوية من عالم الظل، تتغذى على الطاقة الروحية، وتستجيب لإرادة من يمتلك المعرفة الحقيقية.

الختم الرابع، بصـــفته بلورة القوة الروحية، كان بمثابة المحرك، بينما البســـاط كان المركبة، يتناغمان معاً ليشكلا وسيلة نقل سريعة وآمنة عبر الأبعاد.

أمســكت ســيرين بالختم الرابع، وشــعرت بالطاقة تتدفق في عروقها، ثم وضــعت يدها على البساط، وأعطته كل المعلومات عن موقع البوابة الكبرى.

استجاب البساط على الفور، وبدأ يحلق بهم عالياً، مذعناً لكلام سيرين، وكأنه يعرف طريقه جيداً.

كانت الرياح تصفع وجوههم، لكن شعور الأمل كان يملأ قلوبهم.

نظر فاضــل إلى ســيرين، وعيناه تلمعان بالفضــول: "كيف للبســاط أن يفهمكِ هكذا؟ وما هذه العلاقة بينه وبين الختم الرابع؟" ابتســـمت ســـيرين، وعيناها تتوهجان بمعرفة قديمة: "البساط، مثل الختم الرابع، هو كائن روحي.

إنه يستجيب للطاقة، وللنية الصادقة.

الختم الرابع هو مفتاح تفعيل هذه الطاقة، وهو يمنحني القدرة على التواصـــل مع البســـاط على مستوى أعمق.

إنهما يكملان بعضهما البعض، كالنور والظل."

أومأ فاضل برأسه، متأملاً هذه الحقيقة الجديدة.

ثم قال، وعيناه تحدقان في الأفق: "حوران حذرنا من مخاطر الطريق.

هل يمكننا تجاوزها بهذه السرعة؟

"ردت سـيرين بثقة: "البسـاط سـريع، ولكن المخاطر التي تحدث عنها حوران ليسـت مجرد وحوش أو فخاخ مادية.

قد تكون طاقات سلبية، أو أرواحاً ضائعة، أو حتى أوهاماً تختبر إرادتنا.

نحتاج إلى درع يحمينا على المستوى الروحي.

هنا، لمعت عينا فاضل ببريق العزيمة.

لدي فكرة! قال فاضل، وهو يمد يده نحو الختم الرابع.

"إذا كان الختم الرابع يمنحكِ القدرة على التواصـــل مع البســـاط، فربما يمكنني اســـتخدام قدرتي على التحكم في الاختام لتسريع البساط وتكوين دروع واقية."

نظرت إليه سيرين بترقب: "هل أنت متأكد؟ هذه طاقة لم تستخدمها من قبل بهذه الطريقة."

"علينا أن نجرب!" قال فاضل بحزم.

"هذه هي فرصـــتنا الوحيدة لتجاوز المخاطر التي تكلم عنها حوران والوصـــول إلى البوابة الكبرى بأمان."

بعد موافقة سيرين، أغمض فاضل عينيه، وترك طاقة البلورات تتدفق في جسده.

بدأ الختم الرابع يتوهج بقوة، وأحاطت به هالة زرقاء متلألئة.

ثم، وببطء، بدأت كرة هوائية ضـخمة تتشـكل حول البسـاط، تدفعه بسـرعة هائلة، وكأنهم صاروخاً ينطلق في السماء.

لم تكن مجرد كرة هوائية، بل كانت درعاً واقياً، يتكون من طبقات من الطاقة المتوهجة، تتلألأ بألوان قوس قزح، تحميهم من أي هجمات أو مخاطر قد تواجههم.

كانت الدروع تتشكل وتتغير باستمرار، تتكيف مع البيئة المحيطة، وكأنها كائن حي يتنفس.

كان المشـهد مذهلاً. البسـاط يطير بسـرعة البرق، محاطاً بدرع من الطاقة المتوهجة، وكأنهم نجم ساطع يشق طريقه في الظلام.

كانت الرياح تزمجر حولهم، لكنهم لم يشعروا بها.

كانت المخاطر تظهر وتختفي، وحوش تزمجر في الأســفل، وأشــباح تحاول اختراق دروعهم، لكنها كانت ترتد عنها بلا حول ولا قوة.

كان فاضـل يوجه الطاقة ببراعة، وسـيرين تراقبه بانبهار، ونور يبتسـم بثقة، مدركاً أنهم في أيد أمينة.

وصلوا إلى البوابة الكبرى بسرعة مذهلة، وكأنهم لم يقطعوا سوى بضع لحظات.

لم يروا البوابة إلا عندما هبط البساط ببطء أمامها، وكأنه يعرف وجهته جيداً.

كانت البوابة ضخمة، مصنوعة من صخور سوداء داكنة، يبلغ ارتفاعها عشرات الأمتار، وعرضها يمتد لمسافة طويلة، وكأنها جزء من الجبل نفسه.

كانت تقع في وادٍ سحيق، تحيط به جبال شاهقة، وكأنها تحرس سراً قديماً.

كانت النقوش الغريبة تغطي سطحها بالكامل، رموزاً قديمة، وكتابات بلغة مجهولة، تتوهج بضوء خافت، وكأنها تنبض بالحياة.

بدأت سيرين بقراءة النقوش والكتابات الموجودة على جانبي البوابة.

كانت تنتقل من جانب لجانب، دون أن تتحدث، تحملق في النقوش بتركيز شديد، وكأنها تحاول فك رموز لغز عظيم.

كانت عيناها تتتبعان كل حرف، وكل رمز، وكأنها ترى ما لا يراه الآخرون.

وقف فاضل ونور مندهشين من الفتاة. ماذا تفعل؟ همس فاضل لنور. وما الذي تقرأه؟ رد نور، وعيناه تراقبان سيرين بانبهار: إنها لغة الأجداد، لغة عالم الظل.

استمرت سيرين في القراءة، وكأنها في عالم آخر، لا تسمع ولا ترى شيئاً سوى النقوش.

كانت تتنفس بصعوبة، وكأنها تبذل جهداً خارقاً. وعندما أكملت القراءة، تنفست الصعداء، وجثت على ركبتيها، وقد بذلت جهداً كبيراً، وكأنها حملت جبلاً على كتفيها.

ثم تكلمت، وصوتها يرتجف من الإرهاق: "هذه هي الطقوس اللازمة لفتح البوابة وإغلاقها.

لفتحها بطريقة سلمية، يجب تحريك هذا الحجر، ووضع قطرات من دمي في الحفرة التي تقع تحته كما أخبرني حوران.

أما الطريقة الأخرى، الطريقة الشريرة، فهي ذبح شخص يحمل في دمه دماء ظلية وبشرية، مع وجود الاختام الأربعة.

وهذا ما كان سيفعله ناركيل. تغيرت ملامح فاضل ونور، وارتسمت على وجهيهما علامات الصدمة والرعب. "ذبح شخص؟" قال فاضل بصوت خافت.

"هل هذا يعني..."أومأت سيرين برأسها بحزن: "نعم، هذا يعني أن ناركيل كان يخطط لذبح شخص مثلي، شخص يحمل دماء الظليين والبشر، لفتح البوابة بطريقته الشريرة.

لقد كان يخطط لاستخدامي."

"وما الذي يوجد خلف البوابة؟" سأل فاضل، محاولاً تغيير الموضوع.

ردت سيرين: "لا أعلم.

النقوش لم تذكر ما يوجد خلفها، فقط كيفية فتحها."

ثم قام نور وفاضل ومعهم سيرين بتحريك الصخرة.

كانت الصخرة ضخمة، مغطاة بالطحالب والنباتات المتسلقة، وكأنها جزء من الجبل.

بذلوا جهداً كبيراً، وعضلاتهم تتشنج، حتى تدحرجت الصخرة ببطء، وكشفت عن حفرة صغيرة تحتها.

كانت الحفرة دائرية الشكل، محاطة برموز غريبة، وكأنها عين تنظر إلى السماء.

قطعت سيرين يدها، ووضعت قطرات من دمها في الحفرة.

انتظروا، لكن لم يحدث شيء.

اتسعت عينا سيرين بذهول، وارتسمت على وجهها علامات اليأس.

نظر فاضل ونور إليها، وعلامات الحيرة تظهر على وجهيهما.

هل أخطأت سيرين في القراءة؟ هل هناك شيء آخر يجب فعله؟

قطعت سيرين يدها الأخرى، ووضعت المزيد من الدم، لكن البوابة لم تفتح.

شعرت سيرين بالإحباط، وكأن كل آمالها قد تحطمت.

"ماذا يحدث؟" همست سيرين، وعيناها تملؤهما الدموع. "لماذا لا تفتح؟"

*****

في صباح اليوم التالي، اجتمع الجيشان في ساحة كبيرة، وادي الصدى، الذي كان شاهداً على صراعات لا حصر لها عبر التاريخ.

كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، والترقب، وكأن الهواء نفسه يحبس أنفاسه قبل العاصفة.

اصطف جنود مملكة النور، راياتهم ترفرف عالياً في السماء الزرقاء، تعكس أشعة الشمس الذهبية، وكأنها أجنحة ملائكة تستعد للطيران.

كانت دروعهم تلمع، وسيوفهم تتوهج، وعيونهم تحمل مزيجاً من الخوف والعزيمة.

في المقابل، اصـــطف جيش ناركيل، ككتلة ســـوداء ضـــخمة، تبتلع النور، وتلقي بظلالها المخيفة على الوادي.

كانت راياتهم تحمل رموزاً مرعبة، ودروعهم داكنة، ووجوههم خالية من أي تعبير، وكأنهم آلات حرب لا تعرف الرحمة.

قرعت الطبول في الجانبين، إيقاعها يتردد في أرجاء الوادي، وكأنه نبض الأرض نفسها، يعلن عن بداية النهاية.

كانت أبواق الحرب تدوي، صوتها يخترق الصمت، وكأنه صرخة مدوية، تدعو إلى القتال.

قبل اندماج الجيشـان، اصـطف القادة في الأمام، باسـتثناء كياتسـو. كان كياتسـو، بذكائه وحنكته، قد أخذ مجموعة من أمهر جنوده، ومعهم مالك، ولم يدخل ساحة المعركة.

بدلاً من ذلك، اتجهوا نحو أسلحة جيش ناركيل التي كانت مخبأة خلف الجبال، مستندين إلى المعلومات الحساسة التي جاء بها مالك.

كانت خطة كياتسو جريئة ومحفوفة بالمخاطر.

تسـللوا كالأشـباح عبر التضـاريس الوعرة، مسـتغلين كل شـق صـخري وكل ظل شـجرة للاختباء.

كان مالك يقودهم، معرفته الدقيقة بتضـاريس المنطقة ومواقع الأسـلحة السـرية لناركيل كانت حاسمة.

وصـلوا إلى مخابئ الأسـلحة، التي كانت عبارة عن كهوف طبيعية ضـخمة، مليئة بالآلات الحربية الغريبة، والمقذوفات السحرية، والتعويذات المدمرة.

لم يترددوا لحظة. قاموا بتدمير كل شـــيء، تاركين خلفهم دماراً هائلاً، وشـــرارات تتطاير في الهواء، وكأنها تعلن عن بداية النهاية لجيش الظلام.

دوت أبواق الحرب، وبدأت المعركة.

اندمج الجيشـــان كتيارين متلاطمين، تصـــادمت الدروع بالدروع، والســـيوف بالســـيوف، وارتفعت صيحات القتال في الأجواء.

كان جيش النور يقاتل بشجاعة لا مثيل لها، كل قسم يؤدي دوره ببراعة.

شعب الريح في الميمنة، كان شعب الريح الحقيقي والبشري يقاتل بمهارة فائقة.

كانت أسـلحتهم خفيفة، لكن حركاتهم كانت سـريعة كالبرق، وقدرتهم على التحكم بالطاقة الهوائية كانت ترعب جنود ناركيل.

كانوا يطلقون كرات من الرياح القوية التي تدفع الأعداء، ويخلقون دوامات هوائية تسحبهم إلى الفوضى، ويستخدمون أجنحتهم الشفافة للانقضاض على الأعداء من الأعلى، وكأنهم أشباح الريح.

في الميسرة، كان جيش أرغوس يقاتل بقوة هجومية هائلة.

دروعهم الثقيلة كانت تحميهم من ضـربات الأعداء، وسـيوفهم الحادة كانت تقطع صـفوف جيش الظلام كالحصاد.

كانوا يتقدمون كالموجة الجارفة، لا يتراجعون أبداً، وكل ضربة منهم كانت تحمل قوة جبل.

في المقدمة والقلب، كان جيش الظليين الأصلي يقاتل بخبرة طويلة.

كانوا يستخدمون أسلحة تقليدية، لكن قدرتهم على التحكم بالطاقة الظلية كانت تمنحهم ميزة فريدة.

كانوا يطلقون سهاماً من الظلام، ويخلقون حواجز من الظلال التي تحمي جنودهم، ويستدعون كائنات ظلية بسيطة لمساعدتهم في القتال.

جيش حيزوم وسيدرك كانوا يتدخلون في اللحظات الحاسمة، يقلبون موازين المعركة.

كانت الكائنات الجليدية، بقوتها الهائلة وقدرتها على تجميد الأعداء، تحدث فوضى في صفوف جيش الظلام، وتفتح ثغرات في دفاعاتهم.

في الجانب الآخر، لم يكن جيش ناركيل ضعيفاً بأي حال من الأحوال.

كانت أعدادهم هائلة، وأسلحتهم متنوعة، وقادتهم يقاتلون بشراسة.

كانوا يستخدمون سيوفاً ثقيلة، ودروعاً سوداء، ويطلقون تعويذات الظلام التي تسبب الخوف والارتباك.

كانت وحوشهم الضخمة، التي تشبه الغيلان والعفاريت، تتقدم في الصفوف الأمامية، تدهس كل من يقف في طريقها.

استمر الاشتباك، وكانت الرؤوس تتطاير من كلا الجيشين، والدم يصبغ الأرض، وصيحات الألم تمتزج بصرخات النصر.

كانت الخسائر فادحة من الجانبين، لكن الخسائر في جيش ناركيل كانت أكثر، خاصة عندما علموا أن أسلحتهم قد دمرت بالكامل.

دب اليأس في قلوبهم، وبدأوا يتراجعون.

وما هي إلا ساعات من المعركة حتى تقهقر جيش ناركيل، وبدأ في الفرار.

علت صـــرخات جنود مملكة النور بالنصـــر، وبدأوا بجمع الغنائم، وكأن النصـــر قد حانت ساعته.

ولكن فجأة، وإذا بالرؤوس تتطاير من جديد، ولكن هذه المرة من جنود مملكة النور.

اندهش نادر والملك حكيم وكل القادة العسكريين.

"ما الذي يحدث؟" صاح نادر، وعيناه تتسعان بذهول.

اعتلى نادر تلة صـــغيرة ليرى جنود ناركيل يأتون من كل جانب، جيش ضـــخم، لا نهاية له، وكأنه يبتلع الأفق.

"إنهم قادمون!" صاح نادر، صوته يرتجف من الصدمة.

"جيش ناركيل الرئيسي!" عاد كياتسو ليخبرهم بأن جيش ناركيل بقيادة ناركيل نفسه سينضم للمعركة، ولكنه تأخر.

وصل مع وصول ناركيل وجيشه، في مشهد مرعب.

كان ناركيل يتقدم في المقدمة، عيناه تشـتعلان بنيران الانتقام، وابتسـامة شـريرة ترتسـم على وجهه، وكأنه يستمتع بالفوضى التي خلقها.

استمر القتال، وتزايدت الخسائر في جيش النور، لكنهم صمدوا في قتالهم.

كانوا يقاتلون من أجل النور، من أجل الأمل، من أجل مملكتهم.

كانوا يقاتلون لأنهم على حق، لأنهم يدافعون عن كل ما هو جميل ونقي في هذا العالم.

كانت أرواح أجدادهم تحوم حولهم، تمنحهم القوة والعزيمة، وكأنها تهمس في آذانهم: "لا تستسلموا! النصر قريب!"

خيم الليل، وعاد الجيشان إلى معسكراتهم، منهكين، لكنهم لم يستسلموا.

اجتمع نادر مع القادة العسكريين والملك ليناقشوا هذا الأمر.

كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، واليأس، لكن بصيص الأمل لم ينطفئ بعد.

وأثناء اجتماعهم، يدخل إليهم أحد القادة يخبرهم برسول من ناركيل إليهم، يدعو القادة مع الملك بالحضور للتفاوض.

رفضوا في البداية، لكن الأخبار التي وصلت من المملكة غيرت كل شيء. "مولاي!" صاح رسول، صوته يرتجف من الرعب.

"جنود ناركيل وصلوا إلى المملكة! إنهم يعيثون في الأرض الفساد! يقتلون، ويدمرون، ويأسرون كل من يقف في طريقهم!"

صُدم الجميع.

ماذا؟ صاح الملك حكيم، وعيناه تتسعان بذهول.

كيف؟

لقد كانت خطة خبيثة! قال نادر، صوته يرتجف من الغضب. لقد خُدعنا!

لا يمكننا أن نترك شعبنا يموت! قال أحد القادة.

ولكن التفاوض مع ناركيل؟ قال كياتسو، وعلامات الشك تظهر على وجهه. "إنه مكار، لا يمكن الوثوق به."

"ماذا نفعل إذن؟" قال الملك حكيم بيأس. "هل نترك شعبنا يذبح؟"

"لا!" قال نادر بحزم. سنذهب.

ليس لدينا خيار آخر.

ولكننا سنذهب بحذر.

رفض الزعيم أرغوس الفكرة بشدة. "لا تثقوا به!" ثم صاح، صوته يتردد في أرجاء الخيمة. "ناركيل مكار وكذاب! إنه لا يعرف الرحمة! سيخدعكم، وسيقتلكم! لا تذهبوا!"

لكن اليأس كان قد تمكن من قلوبهم، ولم يكن لديهم خيار آخر.

ذهب الملك حكيم ونادر وكياتسو والحكماء الخمسة، باستثناء الزعيم أرغوس.

وأثناء وصولهم، استقبلهم ناركيل بابتسامة شريرة، وعيناه تلمعان بالانتصار.

كان يقف في وسط ساحة كبيرة، محاطاً بقاداته ووزراءه، وكأنه ملك متوج.

كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، والترقب، وكأن الهواء نفسه يحبس أنفاسه.

ثم أمر جنوده بتكبيلهم وتقييدهم، وكأنهم أسرى حرب.

أطلق ناركيل ضحكاته الشريرة، صوتها يتردد في أرجاء الساحة، وكأنه يعلن عن انتصاره الساحق.

"لقد أتيتم إلى حتفكم أيها الأغبياء!" صاح ناركيل، صوته يرتفع، وكأنه يخطب في جيشه.

"ألا يوجد فيكم أحد رشيد؟ ما الذي تعتقدونه؟ هل سأرحمكم؟ هل سأتراجع عن خطتي التي أعمل عليها منذ مئات السنين؟ يا لكم من أغبياء!"

ثم أمر كتائب السحرة السود، وهم مجموعة من السحرة الأقوياء الذين يطلقون تعويذات الظلام، ويسيطرون على الكائنات الظلية البسيطة.

انطلقوا بواسطة طيور ضخمة، أجنحتها سوداء كالفحم، وعيونها تشتعل بالشر، وحلقوا فوق جنود مملكة النور.

بدأوا يرشون عليهم سحرهم الخبيث، سحراً يسبب الجنون، واليأس، والضعف.

كانت الجنود تتساقط كأوراق الخريف، وعيونهم فارغة، وكأن أرواحهم قد سحبت منهم.

عاد قائد السحرة ليخبر ناركيل بأن المهمة اكتملت لصالحه.

أطلق ناركيل ضحكاته الشريرة، ثم أمر بإقامة احتفال أمام الملك حكيم وقادته، وقلوبهم يعتصرها القهر والألم.

"يا لكم من أغبياء!" قال ناركيل، وهو ينظر إليهم بسخرية.

ستدفعون الثمن.

نظر الملك حكيم إلى نادر وكياتسو، وعيناه تملؤهما الدموع.

"لقد أخطأنا." همس الملك حكيم. "لقد أخطأنا عندما لم نستمع إلى أرغوس."

*****

في الصباح، أمر ناركيل بتجهيز ساحة كبيرة على مرأى من شعب النور لمحاكمة الملك حكيم وقادته.

جروهم والأغلال في أعناقهم وأرجلهم إلى ســـاحة المحاكمة، بداية من الحكماء الخمســـة، يليهم كياتسو، ثم مالك، ثم نادر، ثم الملك حكيم.

أطلقت أبواق كبيرة مدوية ومزعجة عند حضور ناركيل.

كان يتقدم بخطوات واثقة، وعيناه تلمعان بالغطرسة، وكأنه يمتلك العالم.

كانت عباءته السوداء ترفرف خلفه، وكأنها أجنحة غراب ضخم.

جلس على كرســـي المحاكمة، بجانبه وزراؤه وقادته الذين يثق بهم، وكأنه إله يجلس على عرشه.

بدأ ناركيل المحاكمة بنفسه، أمام مرأى ومسمع من شعب مملكة النور.

كانت قلوبهم تعتصر ألماً، وعيونهم تذرف الدموع، ووجوههم تحمل علامات الخوف واليأس.

كانت صرخاتهم المكتومة تملأ الأجواء، وكأنها أصوات أرواح معذبة.

خاطبهم ساخراً: "يا شعب النور! هذا هو ملككم، وهؤلاء هم قادتكم الذين ائتمنتم أبناءكم عليهم! انظروا إليهم! إنهم يقفون أمامي، أذلاء، مكبلين، لا حول لهم ولا قوة!"

ثم داس بقدمه على الأرض بقوة، وكأنه يدوس على كرامتهم.

"هل كنتم تظنون أنهم سينقذونكم؟ هل كنتم تظنون أنهم سيحققون لكم النصر؟ يا لكم من سذج! لقد حان وقت دفع الثمن!"

ثم نهض من مقعده، واتجه نحو الحكماء.

خاطب اثنين باسميهما: "كيف حالكما اليوم، أيها الحكيمان؟

ألم أخبركما سابقاً بالانضمام إلي؟ ألم أعرض عليكما القوة، والمجد، والخلود؟ لكنكما رفضتما! اخترتما طريق الهلاك!" ثم أشار إلى جنوده:

"خذوهما إلى منصة الإعدام! ليكونا عبرة لمن يعتبر!"

كان المشهد مروعاً.

شعب الظلام يهلل ويفرح، وعيونهم تشتعل بالشماتة، بينما شعب النور يبكي بحرقة، وقلوبهم تتمزق ألماً.

أطلق ناركيل ضحكاته الشريرة، صوتها يتردد في أرجاء الساحة، وكأنه يعلن عن انتصاره النهائي.

ثم أتى إلى الحكماء الثلاثة الباقين: "أتذكرون ذلك اليوم عندما طلبت منكم الاجتماع، وعرضت عليكم الأمان، لكنكم رفضتم؟ هذا جزاؤكم!"

ثم أمر جنوده بجرهم إلى منصة الإعدام، واحداً تلو الآخر، والأغلال في أعناقهم.

ثم أمر بإعدامهم، واحداً تلو الآخر، أمام أعين الجميع، ليزيد من عذاب الملك حكيم والقادة.

ثم أتى إلى كياتسو، وعيناه تلمعان بنظرة إعجاب ممزوجة بالخبث: "أنت أيها البشري الظلي! لقد أظهرت شجاعة لم أكن أتوقعها!

إنك قوي جداً! كنت أستهين بك، ولكني أعترف بقوتك!"

رد عليه كياتسو بحزم وثبات وقوة، وعيناه تحدقان في ناركيل دون خوف:

"إن مت اليوم، فهذا لا يعني أن الظلم سيخلد! مهما طال ليل الظلم، فإن فجر العدل سيشرق حتماً! ستسقط إمبراطوريتك، وسيعود النور إلى هذا العالم! لن تكسر أرواحنا، ولن تطفئ شعلة الأمل في قلوبنا!"

أطلق ناركيل ضحكاته الشريرة، صوتها يملأ الساحة، وكأنه يسخر من كلمات كياتسو:

"ما زلت تأمل بالنصر بعد هذا الذي أنت فيه؟ يا لك من ساذج!"

ثم أمر جنوده بحمله إلى المشنقة. "أنتم البشر، ستكون موتتكم مختلفة!" مشيراً إلى نادر وكياتسو.

ثم ذهب إلى نادر، وعيناه تشتعلان بالغضب:

"ماذا كنت تظن نفسك أيها البشري؟ هل كنت تظن أنك ستكون بطلاً؟ هل كنت تظن أنك ستنقذ هذا العالم؟ يا لك من أحمق! لقد حان وقت نهايتك!"

رد عليه نادر بشـــكل قوي جداً، كلام مليء بالثبات والتوكل على الله، وعيناه تلمعان بالإيمان:

"نهايتك ستكون على يدي! ستسقط، وسينتهي حكمك الظالم! لن يدوم الظلام طويلاً، فالنور قادم لا محالة!"

أطلق ناركيل ضحكته الساخرة، ثم أمر بجره إلى جانب كياتسو على المشنقة، وكأنه يستمتع بعذابهما.

أثناء المحاكمة، طلب أحد القادة الإذن من ناركيل، فأذن له.

ثم أدخل الجنود جثة واثنين قادة مكبلين.

قال القائد، وصـــوته يملؤه الفخر: "هؤلاء ممن حاولوا المقاومة، ولأنهم قادة كبار، أردنا إحضارهم إليك."

لم تكن الجثة إلا للزعيم أرغوس، الذي كانت ملامحه تحمل آثار معركة شـــرســـة، والمكبلين سيدرك وحيزوم، اللذين كانا منهكين لكن عيونهما تحمل بصيصاً من التحدي.

"أرغوس!" قال ناركيل، وهو ينظر إلى جثته بســـخرية: "لقد حذرتهم من الاجرار في هذه الحرب، لكنهم لم يستمعوا. الآن، لقد دفعت الثمن غاليًا!"

ثم نظر إلى سيدرك وحيزوم: "أيها الخائنان!

ثم التفت إلى حيزوم، هل تذكر يا حيزوم قلعتك التي أمرت بهدمها؟

لقد أصبحت رماداً! وهذا مصير كل من يعارضني!"

ثم ذهب إلى مالك، وعيناه تشتعلان بالغضب:

"مالك! كنت أعتبرك يدي اليمنى!

اعتمدت عليك بكل شيء، لكنك خنتني!"

ثم أكمل، وصوته يرتفع: "عقابك سيكون مختلفاً!"

ثم أمر أحد قادته، والذي بدوره أمر جنوده، وإذا بهم يسحبون أنثى ظلية، ومعها أربعة أطفال، يجروهم دون رحمة، كانت صرخاتهم تملأ الساحة، وقلوب الحاضرين تتمزق ألماً.

ثم أكمل ناركيل، وصوته يملؤه الشماتة: "أتعرف من هؤلاء يا مالك؟

هؤلاء أسرتك، وفلذة كبدك!"

تغيرت ملامح مالك، وارتسمت على وجهه علامات الصدمة والحزن، لكنه لم ينهار.

كانت عيناه تشتعلان بالغضب، ويداه ترتجفان.

"لن تكسرني!" صاح مالك، صوته يرتجف من الغضب، لكنه كان يحمل قوة هائلة. "ستدفع الثمن!"

ثم أمر ناركيل بوضعهم واحداً تلو الآخر في قدر من الزيت المغلي، أمام مرأى من مالك.

كانت صرخاتهم تخترق القلوب، ودموع مالك تنهمر على وجهه.

"أما أنت يا مالك، فستكون نهايتك مختلفة! ستعلم بعد قليل!"

حاول كياتسو ونادر مواساة مالك، لكن الألم كان أكبر من أن يحتمل.

ثم أتى الدور على الملك حكيم، وعيناه تلمعان بالغطرسة: "ماذا عنك أيها الملك حكيم؟ هل كنت تظن أن هزيمتي سهلة، وأنك ستنتصر على بهؤلاء الشرذمة؟

ولكن مازلت احترمك، ثم قال ساخرا: هذه هي أصناف الموت أمامك، فاحتراماً مني لك، أخيرك الطريقة التي تريدها!"

رد الملك حكيم بثبات، وعيناه تحدقان في ناركيل دون خوف: "لن أختار موتي! سأختار الحياة! حياة النور التي ستنتصر على ظلامك! لن تكسر إرادتنا، ولن تطفئ شعلة الأمل في قلوبنا!"

رد كياتسو، وصوته يملؤه التحدي: "لن تكسرنا يا ناركيل! النور سينتصر!"

وأثناء المحاكمة، وبينما كان ناركيل يقوم بإذلال الملك حكيم، أمر جنوده بشنق كياتسو ونادر.

اتجه الجنود لتدوير العجلة.

ثم أكمل ناركيل حديثه المخلوط بضحكات النصر: "أين هي وعودكم وتهديداتكم؟ من ينقذكم اليوم مني؟ هههههه" ثم أشار للجنود بتدوير العجلة.

فجأة، تتطاير رؤوس هؤلاء الجنود بجانب العجلة قبل تدويرها، بواسطة كائن طائر ضخم، في مشهد مهيب أعاد الأمل إلى نادر والملك وشعب النور كافة.

الفصل العشرون

لم تفتح البوابة. كان الصمت يلف المكان، صمتاً ثقيلاً كالحجر، يكسره فقط أنفاسهم المتسارعة.

نظرت سيرين إلى البوابة الضخمة، التي بدت وكأنها تسخر من يأسهم.

كانت النقوش القديمة عليها تبدو الآن أكثر غموضاً، وكأنها تخفي سراً أعمق مما تخيلوا.

تكلمت سيرين بيأس، صوتها بالكاد مسموع: "لم تفتح... كل شيء ضاع."

نظر إليها فاضل، وعيناه تلمعان ببريق أمل لم ينطفئ بعد:

"ألم تقولي بأن حوران أخبرك عند الوصول إلى البوابة أن تتواصلي معه؟" تذكرت سيرين.

لمعت عيناها ببريق مفاجئ، وكأنها استعادت جزءاً مفقوداً من ذاكرتها.

"حوران!" همست، ثم أخرجت الختم الرابع، بلورة الطاقة الأرجوانية التي كانت تحملها.

لمسته، فتوهج الختم بشدة، وأطلق نبضات من الضوء الأرجواني، وكأن قلباً ينبض بالحياة.

بدأت البلورة تدور في يدها، وتطلق شرارات صغيرة، وكأنها تستعد لعملية اتصال.

أغمضت سيرين عينيها، وبدأت تتمتم بكلمات قديمة، كلمات لم يفهمها فاضل ولا نور، لكنها كانت تحمل قوة هائلة.

كانت تلوح بيدها في الهواء، وكأنها ترسم رموزاً غير مرئية، والطاقة تتدفق من الختم الرابع إلى جسدها، ومن جسدها إلى الهواء المحيط بها.

شعر فاضل ونور بقوة غريبة تملأ المكان، وكأن الهواء أصبح كثيفاً، مشحوناً بالطاقة.

كانت قلوبهما تنبض بسرعة، وشعرا بوخز خفيف في أطراف أصابعهما، وكأن جزءاً من هذه الطاقة يتغلغل فيهما.

كانا ينظران إلى سيرين بانبهار، وكأنها كاهنة قديمة تستدعي أرواح الأجداد.

فجأة، اهتزت البوابة. لم يكن اهتزازاً عنيفاً، بل كان اهتزازاً خفيفاً، وكأنها تستيقظ من سبات عميق.

بدأت النقوش عليها تتوهج بقوة أكبر، وتغيرت ألوانها من الأرجواني إلى الأزرق، ثم إلى الأخضر، ثم إلى الذهبي، وكأنها تحتفل بالاستيقاظ.

ثم، وببطء شديد، بدأت البوابة تنفتح، لا بصوت صرير مزعج، بل بصوت همس خفيف، وكأنها تتنفس.

انقسمت الصخور الضخمة إلى نصفين، وتراجعت إلى الجانبين، كاشفة عن ممر مظلم، يمتد إلى ما لا نهاية.

تقدمت سيرين، وهي ما زالت على تواصل مع حوران، دون أن تتحدث.

كانت عيناها تحدقان في الممر المظلم، وكأنها ترى ما لا يراه الآخرون.

تقدم بعدها فاضل ونور، وقلوبهما تنبض بالترقب والخوف.

كان ما خلف البوابة عالماً مختلفاً تماماً عن أي شيء رأوه من قبل. لم يكن هناك سماء زرقاء، ولا شمس مشرقة، ولا نجوم متلألئة. كان كل شيء مظلماً، لكنه لم يكن ظلاماً حالكاً.

كان هناك ضوء خافت، أزرق اللون، ينبعث من كل شيء، من الصخور، ومن الأشجار، ومن الهواء نفسه.

كانت الأشجار غريبة، أوراقها سوداء، وأغصانها ملتوية، وكأنها أذرع أشباح.

كانت الأرض مغطاة بطبقة من الضباب الأزرق، وكأنهم يمشون على السحاب.

كان الهواء بارداً، وكثيفاً، يحمل رائحة غريبة، رائحة التراب الرطب، ورائحة الزهور الغريبة، ورائحة شيء آخر، شيء لا يمكن وصفه، لكنه كان يثير الخوف في قلوبهم.

كانت الأصوات غريبة أيضاً، همسات خفيفة، وصرخات بعيدة، وضحكات خافتة، وكأنهم في عالم الأرواح.

مكثوا قليلاً، يناظرون حولهم مندهشين، مستغربين.

كانت عيونهم تتسع بذهول، وكأنهم يرون حلماً. لكن سيرين استمرت بالتقدم، وكأنها تعرف طريقها جيداً.

فجأة، وبدون سابق إنذار، عصفت بهم دوامة قوية.

لم تكن دوامة هوائية، بل كانت دوامة من الطاقة، تسحبهم إلى الأسفل، وكأنها تبتلعهم.

صرخوا، وحاولوا المقاومة، لكنهم لم يستطيعوا. كانت الدوامة قوية جداً، وكأنها قوة لا يمكن إيقافها.

استيقظوا، ووجدوا أنفسهم في عالم غير العالم المعتاد. لم يكن هناك ضباب أزرق، ولا أشجار غريبة، ولا أصوات خافتة.

كان كل شيء مظلماً، لكنه كان ظلاماً دافئاً، مريحاً، وكأنهم في رحم أم.

كانت الأرض ناعمة، وكأنها مصنوعة من الحرير. كان الهواء نقياً، يحمل رائحة الزهور العطرة.

استقبلتهم كائنات ظلية غريبة. لم تكن هذه الكائنات مخيفة، بل كانت جميلة، أجسادها شفافة، وعيونها تتوهج بضوء خافت.

كانت أجنحتها كبيرة، وكأنها أجنحة فراشات.

كانوا يرتدون ملابس فضفاضة، مصنوعة من قماش متلألئ، وكأنها مصنوعة من النجوم.

كان قائدهم ظلياً عرف بـ "أوزاي". كان أوزاي أطول من الكائنات الأخرى، وأكثرهم جمالاً.

كانت عيناه تتوهجان بضوء أزرق عميق، وكأنها تحمل حكمة الأجداد.

كان يرتدي عباءة سوداء، مطرزة بالنجوم، وكأنها قطعة من السماء.

رحب بهم أوزاي بتحية "النور والسلام"، وانحنى أمامهم باحترام، وكأنه يرحب بملوك.

"أهلاً بكم أيها الأبطال!" قال أوزاي، صوته هادئ، ومريح، وكأنه صوت الموسيقى.

"أعتذر عن إخافتكم، ولكن هذه هي البوابة الوحيدة للوصول إلى عالمنا هذا.

فلا يستطيع أحد الوصول إلينا إلا إذا كان نقياً، وهدفه هي خدمة الظليين.

كيف نستطيع مساعدتكم؟

"تكلمت سيرين، صوتها يرتجف من الإرهاق، لكنه كان يحمل قوة هائلة: "اسمي سيرين.

أنا حفيدة رهيم. أحمل دماء ظلية وبشرية."

ثم أكملت، وعيناها تحدقان في أوزاي: "يوجد ظلي متطرف اسمه ناركيل يريد تدمير عالم النور، والسيطرة على عالم الظل.

ونحن جئنا نطلب منكم مساعدتنا لإيقافه. لقد حدثني حوران عنكم، فأرجوكم لا تخذلونا!"

تكلم أوزاي، وعيناه تلمعان بالحزن: "أهلاً بكِ يا حفيدة رهيم.

الطاغية ناركيل... لقد كنت أخشى أن يصل قبلكم. فلو وصل قبلكم، لحول عالم الظل إلى ظلام، ولأصبح جيشه جيشاً من الكائنات الشريرة التي تعمل بأمره.

سيدمر عالم الظل بالكامل، وسينشر الفساد في كل مكان."

تكلم فاضل، صوته يرتجف من القلق: "ليس لدينا وقت. لقد اندلعت المعركة بينه وبين عالم النور.

وأظن أنه سيحسم المعركة بجيشه."

تنهد أوزاي، ثم لوح بيده، وإذا بالهواء يتشكل أمامهما، ويظهر مشهد ساحة المعركة.

رأوا جيش ناركيل يتوافد من الجبال، بقيادة ناركيل نفســـه، وبدأوا يقتلون في جيش النور، ويذبحون كل من يقف في طريقهم.

كانت الدماء تلطخ الأرض، وصرخات الألم تملأ الأجواء.

صرخت سيرين، وعيناها تتسعان بذهول: "لا!"

أما فاضل، فقد كانت ملامح الغضب ترتسم على وجهه.

"يجب أن نتحرك الآن!" صاح فاضل، صوته يرتجف من الغضب.

"لا يمكننا أن نترك شعبنا يموت!"

تكلم أوزاي بعد أن عرف قدرة سيرين على التحكم بالظليين: "سأمدكم بجيش من الكائنات الطائرة.

هذه الكائنات هي "حراس النور"، وهم نخبة جنود عالم الظل، الذين لم يظهروا في أي معركة سابقة.

إنهم أقوياء، شرسين، ولا يعرفون الرحمة.

إلى جانب قدرتك الفريدة هذه، ستحققون نصراً ساحقاً." ثم أمر بإعداد هذا الجيش على الفور.

بينما كان الجيش يعد، أخذ أوزاي سيرين إلى مكان سري، مكان مقدس، حيث أمدتها قوة أكبر للتحكم في الظليين.

كانت سيرين تشعر بالطاقة تتدفق في عروقها، وكأنها أصبحت جزءاً من عالم الظل.

تكلم أوزاي: "والآن، لنعلمك استخدام هذه القوة."

استمرت سيرين بالتعلم، حتى اكتمل الجيش خلال ساعات قليلة.

كان هذا الجيش مذهلاً.

كانت الكائنات الطائرة ضخمة، أجسادها مغطاة بالريش الأسود اللامع، وعيونها تتوهج بضوء أزرق عميق.

كانت أجنحتها كبيرة، وكأنها أجنحة تنانين.

كانت أسلحتها حادة، ومخالبها قوية، وكأنها مصنوعة من الفولاذ.

ثم استدعى أوزاي فاضل، وقال: "خذ هذه.

ستفيدك إلى جانب قوة البلورات." أعطاه عصا متوهجة، ليست مجرد عصا، بل هي جزء لا يتجزأ من الختم الرابع،

والذي بدورها تتحول إلى سلاح قوي، يطلق شرارات من الطاقة النورانية.

ودعهم أوزاي، ثم استقل فاضل كائناً طائراً ضخماً، يشبه التنين، لكنه كان أكثر هيبة، وأكثر قوة.

كانت أجنحته كبيرة، وريشه لامع، وعيناه تتوهجان بضوء أزرق عميق.

بينما استقلت سيرين كائناً آخر، يشبه البومة الضخمة، لكنها كانت أكثر جمالاً، وأكثر قوة.

كانت أجنحتها كبيرة، وريشها ناعم، وعيناها تتوهجان بضوء أخضر عميق.

وكذلك نور، استقل كائناً آخر، يشبه الصقر الضخم، لكنه كان أكثر ضخامة، وأكثر قوة.

كانت أجنحته كبيرة، وريشه بني، وعيناه تتوهجان بضوء ذهبي عميق.

انطلقوا بعد أن ودعوا أوزاي، وبعد أن اقتربوا من وادي الصدى، انقسموا إلى قسمين. فاضل وكائنه الطائر ذهب للبحث عن نادر والملك، بينما سيرين ذهبت لتنفيذ المهمة، وهي إزالة سحر ناركيل من جنوده، وإعادتهم في صفها.

وصل فاضل إلى ساحة المحاكمة.

كان المشهد مروعاً.

نادر صديقه، والزعيم كياتسو، والملك حكيم، ومالك، كلهم على وشك الموت.

كانت قلوبهم تعتصر ألماً، وعيونهم تذرف الدموع، ووجوههم تحمل علامات الخوف واليأس.

لم يتردد فاضل لحظة.

هبط مسرعاً، وقضى على الجنود الذين كانوا حول المشنقة، ويهبط في وسط الساحة، ويقول بصوت مدوٍ يهز أركان المكان: "انتهى زمان الظلم والاستبداد أيها الطاغية! لقد حان وقت سقوطك!"

اندهش ناركيل وجنوده والحاضرون.

لم يصدقوا ما تراه أعينهم.

كان فاضل يقف هناك، وكأنه ملاك نزل من السماء، يحمل في يديه أمل النجاة.

كانت عيناه تشتعلان بالغضب، ووجهه يحمل علامات العزيمة.

غضب ناركيل، فأمر جنوده بقتل فاضل، لكنهم رفضوا الانصياع لأمره.

كانت عيونهم شاخصة نحو فاضل، وكأنهم يرون فيه شيئاً لم يروه من قبل.

كانت هالة من النور تحيط بـ فاضل، وكأنها تحميه من كل شر.

انفجرت صيحات الفرح من الأبطال المحتجزين.

"فاضـل!" صـاح نادر، صـوته يرتجف من السـعادة، وكأنه لم يصـدق ما تراه عيناه. "لقد جئت!"

أما كياتسـو والملك حكيم، فقد كانت عيونهما تلمعان بالدموع. كانت قلوبهما تنبض بسرعة، وكأن روحاً جديدة قد دبت فيهما.

شعب النور، الذي كان يائساً قبل لحظات، انفجر بصيحات الفرح.

كانت صـرخاتهم تملأ الأجواء، وكأنها تعلن عن بداية عصـر جديد. وما هي إلا لحظة، وإذا بسـيرين تهبط من كائنها الطائر، وتقول بكل شموخ وعزم، وصـوتها يتردد في السـاحة: "لقد أتممت المهمة يا فاضـل! أصـبح كل الجنود في صـفي الآن! ومن أظهر مقاومة، تركته لجيشـي ليتولى أمره.

أما عن السحرة، فقد أمرت أن يؤتى بهم أحياء."

استغرب ناركيل ووزراؤه مما سمعوا. لم يصدقوا ما تراه أعينهم.

كانت ملامح الصدمة والذهول ترتسم على وجوههم.

بدأ ناركيل بالمقاومة، لكن سـرعان ما تم القبض عليه من قبل أتباعه الذين تحولوا إلى صـف النور.

"لقد انقلب السحر على الساحر يا ناركيل!" قال فاضل، صوته يملؤه الثقة، وعيناه تحدقان في ناركيل. "والآن حان دورك!" لكن نادر صاح بأعلى صوته، صوته يرتجف من الغضب:

"اتركه لي! لقد أخذت وعداً على نفسـي أن أقتله!" ثم كبلوه وقادته ووزراءه، وبدأت محاكمتهم.

الفصل

الحادي والعشرون

الجزء الأول *

كانت المحاكمة سريعة وحاسمة، لا مجال فيها للمراوغة أو التملص.

لقد فاض الكيل، وتراكمت الأدلة كالجبال، وتوالت شهادات الضحايا والشهود، كل كلمة فيها كانت سهمًا يخترق قلب الظلم.

لم يكن هناك مجال للرحمة لطاغية نشر الفساد والدمار.

حكم على ناركيل بالإعدام، وعلى قادته ووزرائه وسحرته بالسجن المؤبد، جزاءً وفاقاً لما اقترفوه من جرائم بحق العالمين.

وما أن أُعلن الحكم، حتى بدأت تتلاشى غيوم الظلام التي كانت تخنق مملكة الظلام.

انسحبت الظلال القاتمة ببطء، وكأنها أرواح شريرة تفر من نور الحقيقة.

عاد النور يدب في عالم الظل من جديد، نور خافت في البداية، ثم ما لبث أن ازداد سطوعاً، كفجر جديد يولد بعد ليل طويل.

عادت الأشجار إلى لونها الأخضر الزاهي، وتفتحت الزهور بألوانها البهية، وتدفقت الأنهار والجداول بمياهها الصافية، وكأن الحياة قد عادت إلى طبيعتها، تنبض بالحيوية والجمال.

كانت نسمات الهواء تحمل عبير الزهور، وصوت خرير المياه، وزقزقة الطيور، وكأن العالم يغني لحن الخلاص.

احتفل شعب النور احتفالاً كبيراً بهذا النصر العظيم، ابتهجت القلوب، وتراقصت الأرواح، وارتفعت الهتافات في سماء مملكة النور، وكأنها تعلن عن ميلاد فجر جديد. كانت الساحات تمتلئ بالناس، يتبادلون التهاني، وتتعالى أصوات الضحكات، وتتراقص الأضواء الملونة في كل مكان.

ثم صعد فاضل إلى منصة عالية، ووقف شامخاً، وعيناه تلمعان بالفخر والأمل. ساد الصمت، وتعلقت الأنظار به، وكأنهم ينتظرون منه كلمة تعيد لهم الحياة.

تكلم فاضل بصوت جهوري، يملؤه الثقة والعزيمة: "يا شعب النور العظيم! لقد انتصرنا! لقد انتصرنا على الظلم، وعلى اليأس، وعلى كل قوة حاولت أن تسلب منا حريتنا وكرامتنا.

هذا النصر لم يكن ليتحقق لولا إيمانكم، وصمودكم، وتضحياتكم.

لقد أثبتم أن النور أقوى من الظلام، وأن الأمل لا يموت."

تعالت الهتافات، وتصفيق الأيدي، وكأنهم يرددون كلماته.

ثم تقدم نادر، ووقف بجانب فاضل، وعيناه تلمعان بالفخر.

تكلم نادر بصوت قوي، يملؤه الحماس: "يا أبطال النور! لقد خضنا معركة شرسة، معركة لم تكن مجرد حرب بين جيشين، بل كانت حرباً بين الخير والشر، بين النور والظلام.

لقد أثبتم أنكم تستحقون الحياة، وأنكم تستحقون الحرية.

هذا النصر هو بداية جديدة، بداية لعصر يسوده السلام، والعدل، والمحبة."

انفجرت الساحة بالهتافات، وتصفيق الأيدي، وكأنهم يعلنون عن ولائهم لقادتهم الجدد.

نظرت سـيرين إلى فاضـل، وهو يغمره الفرح، وعيناها تلمعان ببريق خاص، بريق يحمل في طياته عزمًا وهدفًا أسمى.

اقتربت منه، وهمست بصوت خافت، لكنه كان يحمل قوة الكون: "لقد أكملتم مهمتكم يا فاضل، وأعدتم النور إلى عالمنا.

أما أنا، فلم أكمل بعد."مدت يدها، وطلبت منه المخطوطات الأربع، تلك البلورات القديمة التي تحمل أسرار العوالم.

"أعيرني المخطوطات الأربع، لقد حان دورها الحقيقي."قبل أن يتمكن فاضـل من الرد، ركبت سيرين على كائنها الطائر، ذلك الكائن المهيب الذي يشبه البومة الضخمة، والذي كان ينتظرها بصبر.

حلقت به عالياً، ثم اتجهت به نحو البوابة الكبرى، تلك البوابة التي كانت قد فتحتها للتو.

نظرت إليها نظرة أخيرة، نظرة وداع، ثم أغلقتها إلى الأبد، وكأنها تغلق فصـلاً من التاريخ، وتفتح فصلاً جديداً.

لم تتوقف سيرين عند هذا الحد.

اتجهت بكائنها الطائر نحو العابرات التي تربط عالم الظل بالعوالم الأخرى، تلك العابرات التي كانت مغلقة منذ زمن بعيد، والتي كانت تمنع التعايش بين البشر والظليين.

بدأت تلوح بيديها، وتتمتم بكلمات قديمة، كلمات كانت تفتح الأبواب المغلقة، وتزيل الحواجز.

بدأت العابرات تتوهج، ثم انفتحت ببطء، وكأنها ترحب بعودة الحياة كما كانت، ليعود التعايش بين البشر والظليين، يسوده السلام، والأمن، والمحبة، كما كان سابقاً.

وبعد أن أتم الأبطال الثلاثة، فاضل ونادر وسيرين، مهمتهم العظيمة في إعادة التوازن إلى العالمين، عملوا بجد واجتهاد لترسيخ دعائم السلام والعدل.

ساعد فاضل في إعادة بناء مملكة النور، مستخدماً حكمته وقدرته على توجيه طاقات البلورات لشفاء الأرض وتجديد الحياة.

بينما عمل نادر بلا كلل على إعادة تنظيم جيش النور، وتدريب الجنود على مبادئ العدل والشجاعة، لا القوة الغاشمة.

أما سيرين، فقد كرست نفسها لإعادة ربط عوالم الظل والنور، وإزالة آثار سحر ناركيل، وتعزيز التفاهم والتعاون بين الكائنات الظلية والبشر، لتزدهر الحياة في كلا العالمين من جديد.

وبعد أن استقرت الأمور، ورفرفت رايات السلام فوق كل الأراضي، طلب الأبطال الثلاثة العودة إلى وطنهم. لقد اشتاقوا إلى ديارهم، إلى رائحة ترابها، وإلى وجوه أحبائهم.

لكن الملك حكيم، بحكمته المعهودة، ابتسم وقال: "لنفتتح مدينة أولد أولاً، ثم لكم ما تشاؤون." وفي اليوم التالي، خرج موكب ضخم مهيب، يتقدمه الملك حكيم، وقادته، ووزراؤه، والأبطال الثلاثة، فاضل ونادر وسيرين.

كانت الأعلام ترفرف عالياً، والموسيقى تصدح في الأجواء، والهتافات تملأ السماء.

اتجه الموكب نحو المدينة الغارقة، التي كانت تُعرف بـ "أولد"، والتي كانت رمزاً للظلم واليأس.

وعندما وصلوا إلى المدينة، لم يصدقوا ما رأوه. لقد عادت المدينة إلى الحياة، وكأنها استيقظت من سبات عميق.

كانت المباني القديمة قد أعيد بناؤها، والشـــوارع نظيفة، والحدائق مزهرة. كانت الأضـــواء تضيء كل زاوية، وكأنها ترحب بعودة النور.

وفي قلب المدينة، انتصبت ثلاثة تماثيل ضخمة، تماثيل مهيبة، تروي قصة النصر والشجاعة.

كان التمثال الأول لفاضل، يقف بشموخ، متمسكاً بعصاه المتوهجة، التي كانت رمزاً لقوته وحكمته. كانت حقيبته الجانبية معلقة على خصـــره، وفي يده الأخرى كان يحمل الكتاب القديم، كتاب الأسرار، الذي كان مفتاح النصر.

كانت عيناه تحدقان في الأفق، وكأنه يرى مستقبلاً مشرقاً.

أما التمثال الثاني، فكان لنادر، يقف بقوة وعزيمة، واضـــعاً قدمه اليمنى على رقبة ناركيل، الذي كان ملقى على الأرض، رمزاً لســـقوط الطاغية. كانت يده اليمنى مرفوعة عالياً، تحمل سيفه اللامع، الذي كان رمزاً للشجاعة والعدل.

وفي يده الأخرى، كان يحمل رأس ناركيل، رمزاً للنصر النهائي على الظلم.

كانت عيناه تشتعلان بالغضب، وكأنه يذكر كل التضحيات التي قدمها.

وكان التمثال الثالث لسيرين، تقف برشاقة وأناقة، يداها ممدودتان إلى الأمام، وكأنها تحتضن العالمين. كانت ترتدي ثوباً أبيض ناصعاً، يرمز إلى النقاء والسلام.

كانت عيناها تلمعان ببريق خاص، بريق يحمل في طياته حكمة الأجداد، وأمل المستقبل.

كانت أجنحتها الظلية الشـفافة ممدودة خلفها، وكأنها تسـتعد للطيران، رمزاً لقوتها الفريدة وقدرتها على ربط العوالم.

كان المشهد مهيباً، يبعث على الفخر والأمل.

كانت المدينة تنبض بالحياة، والأمن يسود كل زاوية.

كانت الضحكات تملأ الأجواء، والأغاني تصدح في كل مكان، وكأنها تعلن عن بداية عصر جديد، عصر يسوده السلام، والعدل، والمحبة، عصر لن ينسى أبداً تضحيات الأبطال الذين أعادوا التوازن إلى العالمين.

*****

الجزء الثاني *

بعد وداع مؤثر للملك حكيم وشعب النور، الذين غمرتهم السعادة والامتنان، عاد الأبطال الثلاثة، فاضل ونادر وسيرين، إلى النقطة التي دلفوا منها إلى عالم الظل.

كانت الأجواء لا تزال تحمل عبق النصر، لكن قلوبهم كانت تتوق إلى دفء الوطن.

مع بزوغ ضوء الفجر الأول، الذي رسم خيوطاً ذهبية على قمم الجبال، خرجوا من البوابة، تاركين خلفهم عالماً أعادوا إليه النور، ومستقبلًا مشرقًا ينتظرهم في عالمهم.

وصلوا إلى بيت فاضل، حيث ساد هدوء غريب.

لحسن الحظ، لم يكن والداه في البيت، فقد علم فاضل لاحقاً من الجيران أنهما ذهبا لزيارة شقيقته في المدينة قبل شهر تقريباً.

كان هذا الهجر المؤقت نعمة، فقد أتاح لهم فرصة لالتقاط الأنفاس، والتأقلم مع واقعهم الجديد، بعيداً عن الأسئلة الفضولية.

في غرفته، غير فاضل ونادر وسيرين ملابسهم التي حملت آثار مغامرتهم الطويلة، واستبدلوها بملابس مريحة. ثم جمع فاضل ملابسهم القديمة، وأسلحتهم، وعدتهم التي رافقتهم في رحلتهم الملحمية. لم تكن مجرد أشياء، بل كانت تذكارات ثمينة، تحمل قصصاً من الشجاعة، والتضحية، والنصر.

وضعها بعناية فائقة في سرداب قديم تحت مكتبة والده، مكان سري سيحفظ أسرار مغامرتهم، ويبقى شاهداً على رحلتهم الاستثنائية.

بعد أن استراح نادر وسيرين قليلاً، انطلقا في رحلة العودة إلى بلدهما. استقلا سيارة أجرة، وقلوبهما تحمل مزيجاً من الشوق والقلق. الشوق إلى الأهل والأحبة، والقلق من كيفية كشف الحقيقة التي عاشاها.

وصلت سيرين أولاً إلى قريتها. كان المشهد مؤلماً. وجدت أن أمها قد توفيت قبل أربعة أشهر، حزناً عليها عند اختفائها.

انهار قلبها، وذرفت دموعاً غزيرة، دموعاً لم تستطع أن تذرفها في عالم الظل.

حاول نادر أن يخفف عنها، لكن الألم كان أكبر من أي كلمات.

أخذها نادر إلى بيته فهي من أهله، وليس لها الآن ملجأ آمن.

كان أهل نادر مستغربين من الفتاة الغريبة التي جاءت مع ابنهم، ومن القصص التي يتحدث عنها عن عالم الظل.

كانا قد خططا ألا يخبرا أحداً بمغامرتهما، لكنهما اضـــطرا عندما لم تجد ســـيرين مكاناً آمناً لتأوي فيه.

أما أم نادر، فقد صدقت ما قاله ابنها.

فما عرفت ابنها كذاباً قط.

كانت عيناها تلمعان بالفخر، وكأنها ترى فيه بطلاً حقيقياً.

أما عمه علي، فقد صدق مباشرة.

أخبر نادر بأن تلك الأحلام كانت تأتيه هو الآخر قبل اختفاء أخيه أحمد.

كانت عيناه مليئة بالدموع، وكأنه يرى في نادر جزءاً من أخيه المفقود.

لكن أباه حسني لم يصدق، فقد غضب غضباً شديداً.

كذبه، وأبى إلا أن يعمل فحصـاً طبياً لسـيرين، ليتحقق من الحقيقة. كانت عيناه تشـتعلان بالغضب، وكأنه يرفض تصديق ما يسمع.

عملوا الفحص الوراثي المطلوب، وطلعت النتيجة إيجابية.

رغم أنها كانت تحمل في دمها دماء ظلية وبشـــرية. كانت هذه النتيجة صـــدمة للجميع، لكنها كانت أيضاً دليلاً قاطعاً على صدق نادر وسيرين.

*****

بعد اسبوع، وصل اتصال من فاضل إلى هاتف نادر.

كان صوته يملؤه الحماس، والفرح، والعزيمة.

أخبره فاضل بأنه قد عزم على الارتباط بسيرين، وخطبتها وأنه أحبها كماهي.

كان هذا القرار مفاجئاً للجميع، لكنه كان قراراً نابعاً من القلب، قراراً يتجاوز الحدود، ويتحدى المفاهيم.

أخبر فاضل نادر بأنه سيأتي اليوم مع أهله لزيارتهم.

استقبلهم نادر وأهله بفرحة غامرة.

كانت الأجواء مليئة بالبهجة، والضحكات، والتهاني.

فرحت سيرين، وشعرت بأنها وجدت أخيراً مكاناً تنتمي إليه، مكاناً يحبها ويتقبلها كما هي.

تزوج فاضل وسيرين في حفل بسيط، لكنه كان مليئاً بالحب، والسعادة، والأمل.

كانت قصة حبهما قصة تروى للأجيال، قصة عن حب يتجاوز العوالم، ويتحدى الصعاب.

عاد فاضل لإكمال دراسته، وهو مطمئن البال، وقلبه مليء بالحب، والأمل، والسعادة.

وما هي إلا أشهر قليلة، حتى أنجبت سيرين طفلاً جميلاً، وأسمته "رهيم"، تيمناً بجده العظيم.

فهل سيكون للطفل رهيم شأن مثل جده، أم أنه سيكون مختلفاً؟ هذا ما ستكشفه الأيام، لكن المؤكد أنه سيكون جزءاً من قصة عظيمة، قصة عن الحب، والأمل، والسلام، قصة عن رحلة إلى عالم آخر، رحلة غيرت حياة الكثيرين، وستظل تروى للأبد.

تمت بحمد الله

نبذة عن الرواية

تنقلب حياة طالب الطب فاضل بعد اختفاء زميله وظهور مفتاح لعالم الظل.«رحلة إلى عالم آخر» فانتازيا في قرية هادئة، تنقلب حياة طالب الطب فاضل بعد اختفاء زميله نادر وتركه مفتاحًا لعالمٍ موازٍ. يتحوّل بحثه عن الحقيقة إلى رحلة في عالم الظل، حيث صراع أزلي وبوابة كبرى تهدّد التوازن بين العالمين.مهمته إنقاذ سيرين قبل أن يستغلّ الطاغية ناركيل قوتها ويفتح باب الظلام.

«رحلة إلى عالم آخر»
مغامرة فانتازية تختبر قوة الروح البشرية حين
يصبح الإيمان السلاح الأخير. عن صراع أزلي، وبوابة
تهدّد التوازن بين عالمين.

حسابات الكاتب

WhatsApp

Telegram

البريد الإلكتروني:
alasharyarafat@gmail.com

يُسمح بنشر أجزاء من هذا الكتاب إلكترونيًا فقط،
بشرط الإشارة إلى المصدر وتضمين الهاشتاقات التالية:

#رحلة_إلى_عالم_آخر
#عرفات_الأشعري_السامعي

ولا يجوز نسخ أو اقتباس أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، سواء كان ذلك بشكل مادي أو معنوي، إلا بعد الحصول على موافقة خطية من المؤلف، وذلك حفاظًا على حقوق الملكية الفكرية.

اخراج فني
فريق Angle 21 للإنتاج الإعلاني

WhatsApp

Instagram